علاقة الكتب السماوية بالعلم

وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة

(دراسة مقارنة تحليلية)

تأليف د. الأمير محفوظ محمد أبوعيشة

(آية قرآنية كريمة)

قال الله تعالى:

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس- الآية: ١٠١]

ملخص البحث:

تضمن البحث التعريف (بالكتب السماوية – والعلم – والدين)، ثم تناول**مفهوم وحي الكتب السماوية وآثاره وموقفها من العلم،** ثم تحدث عن **الآثار المترتبة على علاقة الكتب السماوية بالعلم،** ثم ذكر **الأزمة ومعالجة الحل.**

وخلص البحث إلى:

١. الرسالات السماوية تحمل مراد الله من البشر، فإذا حُرِّفت كتبُ الرسالات السماوية فقد حرِّف بالتبع مراد الله تعالى، مما يفرز أزمة حضارية بخلق بيئة دينية محرَّفة تصطدم بالعلم والعلماء، حتى تظهر آثار سلبية تعانيها البشرية، فإما تعيش بـ(علم بلا دين) أو تعيش بـ(دين بلا علم)، وكلاهما غير صحيح؛ لأنه لا مناص للبشر بدونهما، كما أنه لا يصح جمع متكلِّف لإرضاء كتاب مُحرَّف.

٢. إن سلامة وحي القرآن من التحريف هيأه للاتفاق مع الحقائق العلمية، وهذا أكبر دليل على أن القرآن تنزيل من لدن حكيم خبير، وهذا من أجلى مظاهر ثقافة القرآن المهيمنة على ما قبلها من كتب وعلى كل فكر منحرف.

الكلمات الدلالية :

(الكتب – سماوية – علم)

المقدمة

وتتكون من النقاط التالية:

* **أسباب اختيار الموضوع.**
* **أهداف الدراسة.**
* **إشكاليات الدراسة.**
* **الدراسات السابقة.**
* **منهج الدراسة.**
* **تقسيم الدراسة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عبدالله ورسوله – صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم- الداعي إلى الله بإذنه، وبعْدُ.. فإن هذه دراسة بعنوان: (عَلَاقةِ الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة – دراسَةٌ مقارِنَةٌ تحليلِيَّةٌ)، لتوجيه فكر من ينجر خلف من تحلل من الدين بدعوى العلم، وقبل الخوض في ثنايا الدراسة أبين النقاط التالية:

النقطة الأولى: أسباب اختيار الموضوع:

تعددت الأسباب الدافعة لاختيار هذا الموضوع منها:

السبب الأول: القاسم المشترك بين الكتب السماوية أنها (مُقدسة عند أهلها موحى بها على وضعها الحالي، بحسب زعم أتباع كل كتاب)، فمن الواجب القيام بالبحث عن (معيارٍ علميّ)[1] فارقٍ بينها؛ حيث تُعَدُّ الحقائق العلمية معيارًا لكل الكتب السماوية، فإن اتفق الكتاب السماوي مع الحقائق العلمية[2] كان أمارة على أنه حق موحى به، وإن اختلف معها فدعوى وحيه أمر فيه نظر.

الثاني: إن اتفاق القرآن مع الحقائق العلمية السبب الرئيس في هداية بعض العلماء والمفكرين الغربيين للإسلام، منهم الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (١٩٢٠- ١٩٩٨)[3]، ومنهم الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي (١٩١٣- ٢٠١٢)[4]، ومنهم الدبلوماسي الألماني مراد هوفمان (١٩٣١- ....)[5]، وغيرهم الكثير.

السبب الثالث: ما لهذا الموضوع من بيان علاقة الكتب السماوية بحقائق العلم بمفهومه الطبيعي من الأهمية بمكان؛ لمناسبة علاقة الدين بالعلم، خاصة في عصر ظهور العلم، لكنّ الواقع خلاف المتوقع فانتشر الإلحاد بين فئات كثيرة خاصة فئة الشباب، من هنا تبدو أهمية دراسة هذا الموضوع مما يجعله جديرًا بالبحث والدراسة.

النقطة الثانية: أهداف الدراسة:

هناك أهداف ترنو الدراسة إليها وتسعى لتقديمها للقارئ المسلم هي:

---

(١) المعيار العلمي: نموذج متحقَّق أو متصور لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، يُجمع على معايير، ومنه العلوم المعيارية: المنطق والأخلاق والجمال، انظر المعجم الوسيط، مادة (عير)، (ص٦٣٩)، ط مكتبة الشروق الدولية، سنة ٢٠٠٤.

(٢) الحقيقة العلمية: هي الأمور الثابتة على سبيل القطع بين جميع العقلاء، وهي تقوى فتكون من القواعد المسلّمة، وإن كانت غير معلومة قبل ذلك، مثل حقيقة (الجاذبية الأرضية) حقيقة علمية مسلم بها بين العلماء، (الباحث).

(٣) موريس بوكاي: (١٩٢٠- ١٩٩٨م)، كان طبيبًا فرنسيًا، نشأ كاثوليكيا، كان طبيبا للملك فيصل آل سعود (١٣٢٤- ١٣٩٥هـ)، (١٩٠٦- ١٩٧٥م)، ومع عمله بالمملكة العربية السعودية أخذ في دراسة الكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين مما هداه إلى الإسلام، ثم ألف كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث)، وقد ترجم لـ١٧ لغة منها العربية، انظر محمد عبدالمنعم علي، سر إسلام رواد الفكر الحر في أوربا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء، (ص٥١- ٥٦)، باختصار، ط دار المنارة، سنة ٢٠٠٢.

(٤) روجيه جارودي: (١٩١٣- ٢٠١٢) مفكر فرنسي كان أبواه ملحدين، مرّ بتجارب ودراسات فانتقل للبروتستانتية ثم اعتنق الماركسية ثم للاشتراكية ثم انفتح على الحضارات فدرس الإسلام لما يقدم من تصور متكامل عن الكون والإنسان والحياة والله، حتى اعتنق الإسلام نقد الكراهية الغربية للإسلام، وانتقد التعصب الأعمى، وأدرك سماحة الإسلام، انظر محمد عبد العظيم، سر إسلام رواد الفكر الحر في أوربا، (ص٧٥- ٨٢)، باختصار، المرجع السابق.

(٥) مراد هوفمان: (١٩٤٨- ....) دبلوماسي ألماني نشأ مسيحيا، درس القانون وحصل على الدكتوراه في القانون، عمل بسفارة ألمانيا بالجزائر في خمسينات القرن العشرين، مما جعله يتعرف على الإسلام عن قرب ثم أعلن إسلامه، سنة ١٩٨٩ له مؤلفات منها (الإسلام كبديل)، ورحلة إلى مكة، وغيرها، كان من أسباب إسلامه الفن الإسلامي، وما وجده من تناقضات في العقيدة النصرانية، انظر محمد عبد العظيم، سر إسلام رواد الفكر الحر في أوربا، (ص٨٣- ٩٤)، باختصار، المرجع السابق.

أول هذه الأهداف الرئيسة من الدراسة معرفة الآثار المترتبة على مفهوم وحي الكتب السماوية، فليس الغرض من الدراسة التنقُّص من أحد الكتب السماوية أو المزايدة على بعضِها لحساب كتاب سماوي بعينه.

ثاني أهداف الدراسة بيان دوافع العلماء الغربيين في فترة العصور الوسطى[1] من تاريخ البشرية وهي مشروعة إلى حدٍّ ما؛ لإشباع ميولهم العلمية التي اصطدمت بجمود رجال الدين على مسلمات دينية غير مشروعة حضاريًا علميًّا ودينيًّا؛ حيث إنها جنت على البشرية الكثير من الآثار السلبية في الأمس واليوم.

ثالث الأهداف بيان رؤية الإسلام المسطورة في القرآن الكريم التي أثمرت حضارة علمية قامت عليها ثورة علمية في أوربا مما يوجِب على العلماء المسلمين - في كافة المجالات - اتخاذ موقف على مستوى المسئولية الحضارية اليوم للقيام بواجبهم نحو الرؤية القرآنية العلمية المبدعة الخلاقة، فبها أبدع علماء الإسلام علومهم.

النقطة الثالثة: **إشكاليات الدراسة**:

ثمة إشكاليات عدة تعالجها الدراسة منها:

الإشكالية الأولى: تصوّر بعض العلماء والمفكرين الغربيين[2] انفصال الكتب السماوية عن العلم ومحاربة العلماء، ونقدهم الكتاب المقدس ثم عمموا نقدهم لجميع الكتب السماوية، وقد اتبعهم بعض المثقفين في الشرق[3]، في هذا التصور وذلك النقد، والدراسة ستقوم بالبحث عن السبب الأساسي للتصور والنقد الجائرين؛ لأن التعميم مطية الزلل، ولأن الحكم المرسل ليس من صالح الحقيقة العلمية وسائر البشرية.

الإشكالية الثانية: أوقع العلماء البشرية في أزمات عديدة وأقروا بها، بدأت بظهور مصطلح (الدين العلمي)[4]

، وهو مصطلح غربي استعملته المستشرقة كارين أرمسترونج[5]، وهو وإن كان لا يتناسب مع الفكر الإسلامي، لكنه (في سياقه) معبّر عن طبيعة البيئة الغربية في عصر الثورة العلمية لما ترتب عليها من آثار.

---

(١) العصور الوسطى: أو القرون الوسطى هي عصور الظلام في تاريخ أوروبا وهي تُطلق على الفترة الممتدة من القرن الخامس حتّى القرن الخامس عشر من الميلاد، حيث بدأت بانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، واستمرّت حتى عصر بداية النهضة والاستكشافات العلمية، انظر د. أشرف صالح محمد، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى، (ص١١)، ط بيروت لبنان، سنة ٢٠٠٨.

(٢) تلك الدعوى بدأت بجاليليو جاليلي، واستمرت مدى قرون عدة حتى جددها آرنست رينان، (١٨٢٣- ١٨٩٢) فيلسوف فرنسي كاثوليكي، دعا لنقد المصادر الدينية نقدا تاريخيا وعلميا للتمييز بين العناصر التاريخية والأسطورية فعارضته الكنيسة الكاثوليكية، لكنه كان ضعيفا في اللغة العربية، وألقى محاضرة بالسربون عن الإسلام في مارس ١٨٨٣، وقد رد عليه بعض علماء الإسلام أمثال جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩- ١٨٩٧) والإمام محمد عبده (١٨٤٥- ١٩٠٥)، لتجنيه في ادعائه اضطهاد الإسلام للعلماء، انظر عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، (٣١١- ٣٢٠)، ط دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة ١٩٩٣.

(٣) منهم فرح أنطون في بواكير القرن العشرين، ومنهم محمد أركون وغيرهما، وستأتي الإشارة إليهما أثناء الدراسة.

(٤) الدين العلمي: سيأتي تعريف هذا المصطلح وتقييمه في الفصل الثاني ضمن الآثار المترتبة على علاقة الكتب السماوية بالعلم.

(٥) كارين أرمسترونج: مستشرقة بريطانية (١٩٤٤- ....) كانت راهبة كاثوليكية ثم تركت الكاثوليكية، وتفرغت لدراسة الأديان، فألفت (تاريخ الرب)، و(سيرة النبي محمد) و(مسعى البشرية الأزلي – الله لماذا؟) لكن لم تنته في دراساتها إلى الحق فقالت: (الدين مبحث علمي ولا تستند أفكاره إلا إلى تدريبات روحية وأسلوب حياة يتسم بالإخلاص والتجرد وبدون هذه الممارسات يستحيل فهم حقيقة مبادئه)، ، انظر لها مسعى البشرية الأزلي، (ص٤٨٢)، هذا إخفاق واعتراف بالعجز وتعميم في الحكم، لكنها معتدلة الفكر، فحينما تخوف البعض من الإسلام عقب أحداث ١١ سبتمبر، دافعت عن الإسلام، ليعم السلام أرجاء العالم، انظر تقديم د. فاطمة نصر لكتاب (سيرة النبي محمد)، (ص٥- ١١)، ط سطور – القاهرة، سنة ١٩٩٨.

الإشكالية الثالثة: ركون علماء الطبيعة إلى المنهج العلمي[1]، القائم على الحس والمشاهدة، مما ترتب على هذا الركون استقواء هذا المنهج على الرسالات السماوية والاعتماد عليه مما نتج عنه آثار خطيرة أدت إلى أزمة البشرية، والدراسة ستقوم بتقييم المنهج التجريبي وموقف القرآن منه، ومدى صلاحية الركون والاعتماد عليه وحده.

النقطة الرابعة: **الدراسات السابقة**.

دراسة الطبيب موريس بوكاي (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) وضعها بعد هدايته للإسلام، وهي عامة للمعارف الطبيعية، جنح فيها للإشارات العلمية في القرآن الكريم، مقارنا بينها وبين الكتاب المقدس، مبينا الروايات التاريخية للكتاب المقدس بصورة عامة، وقد أفدت منه نقد فقرات (خلق الكون في سفر التكوين)، لكن الطبيب لم يتطرق إلى موقف العلماء من الكتب السماوية وما بني عليها من آثار، فمست الحاجة لبيان ذلك لإزالة إشكالية لدى العلماء وعلاج الآثار المترتبة.

وهناك دراسة للدكتور إبراهيم عوض[2]، بعنوان: (موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم)، وقد أعدَّها للاشتراك بها في (المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة) سنة ١٩٨٧م [3]، وهي دراسة جادة ومفيدة، لكنها اكتفت بالإشارة إلى مفهوم الوحي دون تفصيل، ولم تتطرق لبيان الآثار المترتبة على موقف رجال الدين من العلم، فأضفت ذلك لإزالة الإشكالية المترتبة عليها.

وهناك دراسات اختصت في إثبات صلة خصوص الكتاب المقدس بالإعجاز العلمي لبعض النصارى، منها دراسة الكاتب الصحفي صمويل العشاي[4]، بعنوان (الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس) طبع في القاهرة سنة ٢٠٠٩م، لكن سمتها الأول مخاطبة الذات، وسوف أشير إلى تلك الدراسة على سبيل التقييم عند بيان موقف العهد الجديد من العلم.

وقد اطلعت على تلك الدراسات وسأضيف إليها بيان موقف العلماء من الكتب السماوية والآثار الخطيرة المترتبة عليها، وبيان المخرج من تلك الآثار، مبينًا ضرورة إعادة النظر في التصورات الخاطئة عن الله تعالى وإعمال الفكر في أَوْلَى الكتب السماوية بالاتباع للعودة إلى رحاب الإيمان بالله تعالى خالق الأكوان ومُنزِّل القرآن.

---

(١) المنهج العلمي: هذا المنهج من أسباب تقدم العلم في مجالاته المختلفة.. وهو يقوم على الملاحظة والتجربة والحس، ولاشك أن الاحتكام لهذا المنهج له دور في استبعاد التفسير الخرافي للظواهر ومحاربة الأساطير، ولما كانت حواس الإنسان يشوبها العجز والضعف والخطأ فابتكر الإنسان الأدوات المعينة له على دقة الملاحظة والتجربة، وهما دعامتا المنهج التجريبي، وللمسلمين باع طويل في ممارسة هذا المنهج، انظر د. عبدالفتاح العيسوي، مناهج البحث العلمي، (ص٩٢)، ط دار راتب الجامعية، سنة ١٩٩٦.

(٢) د. إبراهيم عوض: (١٩٤٨- ....)، ناقد أدبي ومفكر إسلامي ومترجم، هو أستاذ الأدب والنقد بكلية الآداب جامعة عين شمس، حصل على الدكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢، قام بنقد ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم، يشهد بذلك ما قدمه من مؤلفات في هذا الصدد، منها: المستشرقون والقرآن، والنزعة النصرانية في قاموس المنجد، له موقع على شبكة المعلومات، انظر د. إبرهيم عوض، نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة، (ص١٠٠)، ط مكتبة السوداني للتوزيع، سنة ١٩٩٥.

(٣) كما ذكر دكتور إبراهيم عوض ذلك في مقدمة دراسته، موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم، (ص٥)، ط مكتبة الشباب، سنة ١٩٨٧.

(٤) صمويل العشاي: كاتب صحفي ومفكر مسيحي معتدل، له إسهامات فكرية وسياسية. (الباحث).

النقطة الخامسة: **منهج البحث**:

قمت باستخدام (المنهج الوصفي التحليلي)[1]؛ حيث عرفت بالمصطلحات، مبينًا أثر مفهوم الوحي على صحة الكتب السماوية وعلاقتها بالكون، سواء أكانت علاقة إيجابية أو سلبية، مع تحليل الآثار المترتبة على موقف علماء الكون من الكتب السماوية، لأن تلك الآثار أدَّت إلى انعدام ثقتهم في الكتب السماوية، كردّ فعلٍ على العصف الكنسي للعلماء في العصور الوسطى[2]، بينما كان علماء الإسلام ينعمون بانسجام بين القرآن الكريم ومجال بحوثهم العلمية والكونية في ضوء البيئة العلمية التي شرعها القرآن الكريم.

كما استخدمت كذلك (المنهج المقارن)[3]، فقمت بمقارنة الكتب السماوية من حيث بيان مفهوم الوحي فيها وفق ما قال رجال الدين في اليهودية والنصرانية وعلماء الإسلام، ثم قارنت موقفها من العلم والكون، كما قارنت بين الآثار المترتبة على مفهوم الوحي في الكتب السماوية، مبينًا أوجه الاتفاق والاختلاف في الكتب السماوية مع الحقائق العلمية الكونية مما يجلي الكتاب السماوي الأحق بالاتباع، لتعدد أدلة إثباته بين الدين والعلم.

لأن إثبات صحة الكتب السماوية من خلال الحقائق العلمية (كمعيار علمي) يدل على أمرين:

الأول: مدى صحة نسبة الوحي للكتاب السماوي؛ لأن الوحي الحق ثابت لا يتغير مهما تباعد زمن نزوله.

الثاني: الوحي الصحيح يتفق مع الحقيقة العلمية اليقينية، حتى بلوغ الكتاب السماوي حد الإعجاز.

ومن الجدير بالذكر أنني لم أنتهج المنهج (الاستردادي التاريخي)[4]؛ لأن هناك متخصصين في هذا المجال بصورة أوسع لتاريخ العلم والفلسفة في مختلف العصور والبيئات، فلم أُعنَ بالتأريخ للحالة العلمية أو الفلسفية، إنما عنيت برصد وتحليل الآثار المترتبة على موقف اليهودية والنصرانية من مفهوم الوحي وما ترتب عليه من موقف معادٍ للعلم والعلماء، مما أدى إلى رد فعل للعلماء معاكس منهم لرجال الدين وتقاليدهم الدينية.

النقطة السادسة: **تقسيم الدراسة**:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة بمراجع الدراسة:

أما المقدمة فذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة وإشكالياتها، والدراسات السابقة، ثم منهج البحث، وتقسيم الدراسة.

أما التمهيد بعنوان (التعريف بالمصطلحات) بينت فيه لأهم المصطلحات الواردة بالعنوان، ويتكون من ثلاثة مباحث هي:

---

(١) المنهج الوصفي التحليلي: وهو منهج يقوم على تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها، وأسبابها، والتعرف على حقيقتها في الواقع مع تحليل آثارها ونتائجها، وهذا المنهج متبع في الدراسات الإسلامية والاجتماعية لدراسة الظاهرة أو المشكلة، انظر د. فاطمة عوض صابر، أسس ومبادئ البحث العلمي، (ص٨٧)، ط مكتبة الإشعاع، الإسكندرية سنة ٢٠٠٦.

(٢) العصور الوسطى: سبق تعريفها.

(٣) المنهج المقارن: طريقة علمية تعتمد على المقارنة في تفسير الظواهر المتماثلة من حيث إبراز أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينهما وفق خطوات معينة من أجل الوصول إلى حقيقة علمية بشأن الظاهرة محل الدراسة، وتستعمل المقارنة كأداة معرفية في الدراسات العلمية الاجتماعية وتحل محل التجربة في الدراسات العلمية والمنهج المقارن لابد فيها من أمور ثلاثة: (منهج ومرجع وحياد موضوعي)، انظر د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان والاستشراق، (ص٣٣- ٣٦)، ط معهد الدراسات الإسلامية، بدون تاريخ.

(٤) المنهج الاستردادي: هو محاولة لإحياء الخبرات البشرية السابقة، وجمع الحقائق وتنقيتها وترتيبها وفق قواعد معيّنة، ويستخدم هذا المنهج في مختلف مجالات العلوم، وقد أثبت المسلمون براعة في هذا المنهج من خلال علم المصطلح، انظر د. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، (ص٣٤٩)، ط دار النهضة العربية، سنة ١٩٨٤، وانظر د. عبدالفتاح محمد العيسوي، مناهج البحث العلمي، (ص٢٤١- ٢٤٦)، ط دار الراتب الجامعية، ١٩٩٦.

المبحث الأول: التعريف بالكتب السماوية.
المبحث الثاني: التعريف بالدين.
المبحث الثالث: التعريف بالعلم.
وأما الفصل الأول فهو بعنوان: (مفهوم وحي الكتب السماوية وآثاره وموقفها من العلم - دراسة مقارنة). ويتكون من ثلاثة مباحث هي:
المبحث الأول: مفهوم وحي الكتب السماوية.
المبحث الثاني: آثار مفهوم وحي الكتب السماوية.
المبحث الثالث: موقف الكتب السماوية من العلم.
والفصل الثاني بعنوان: (الآثار المترتبة على علاقة الكتب السماوية بالعلم- دراسة تحليلية)، ويتكون من ثلاثة مباحث هي:
المبحث الأول: استقواء المنهج العلمي (التجريبي).
المبحث الثاني: انتشار الإلحاد.
المبحث الثالث: ظهور دعوى عدم اليقين (اللّاأدريّة).
والفصل الثالث بعنوان: (الأزمة ومعالجة الحل) ويتكون من ثلاثة مباحث هي:
المبحث الأول: الاعتراف بالأزمة.
المبحث الثاني: الحل والعلاج.
المبحث الثالث: منهج العلم البشري في ميزان القرآن.
وأما خاتمة الدراسة: تشتمل على بيان أهم نتائج الدراسة والتوصيات، والرؤية المستقبلية التي يراها الباحث.
وأما قائمة المراجع فقد أوردت فيها أهم المراجع التي رجعت إليها من الكتب المعنية بالدراسة.
ومن الجدير بالذكر أنه لابد من التنبيه على أمرين مهمين في الدراسة وهما:
الأول: الاكتفاء بمسألة (خلق الكون) في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، وفي القرآن الكريم لتصحيح المقارنة، لأن مسألة (خلق الكون) من المسائل التي لها محل الصدارة في أولى فقرات الكتاب المقدس من سفر التكوين، ولها كذلك ذكر واضح في القرآن الكريم، فالمقارنة تنجلي من خلالها بوضوح بين (الكتب السماوية)، لأن المقارنة بينها جميعًا، ولئلا تتسم الدراسة بـ (الإعجاز العلمي) فتخرج عن موضوعيتها، ومن ناحية أخرى فإن مسألة (خلق الكون) من المسائل العلمية الكبرى التي تؤكد اتفاق الوحي الصحيح مع الحقائق العلمية.
الثاني: استشهدت بالسنة النبوية المطهرة في مقام الدلالة اللغوية لأنها أوسع من الدلالة الشرعية في الجملة، وتركت تناول علاقة السنة المطهرة بالعلم الكوني لدراسة أخرى، خشية الخروج عن موضوعية الدراسة، ولاشتمالها على مواطن كثيرة تتطلب دراسة مستقلة، لأنها وحي للنبي بالمعنى.
والله تعالى أسأل التوفيق والسداد..

الأمير محفوظ محمد أبوعيشة

***

تمهيد

التعريف بالمصطلحات

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكتب السماوية.

المبحث الثاني: التعريف بالدين.

المبحث الثالث: التعريف بالعلم.

المبحث الأول: التعريف بالكتب السماوية

إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولابد من التعريف بالمصطلحات الواردة بعنوان الدراسة لإمكان الحكم الصحيح على ما سيرد من قضايا في الدراسة، ومن المصطلحات الواردة ما يلي:

أولا (الكتب السماوية):

مركب إضافي مكون من (الكتُب) وهي جمع كتاب، وهو (**من الفعل كتب كَتْبًا وكتابًا وكتابة، أي خطَّه**)[(1)]، و(السماوية) وهي منسوبة إلى السماء للتعبير عن الكتب السماوية بالتنزيل والإنزال، قال تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**﴾[**آل عمران: ٣**]، ولا يكون نزول إلا من علو، وإضافة وصف (**السماوية**) غالب عليها وهو قيد يخرج الكتب المقدسة في النحل البشرية الوضعية[(2)] لأنها ليست بسماوية والمراد من (الكتب السماوية) بعد التركيب كل كتاب أوحي بأصله من عند الله تعالى، وهي الكتب التي يدعي أتباعها بأنها بوحي من الله تعالى وهي علم بالغلبة على (**التوراة والإنجيل والقرآن**)، قال تعالى: ﴿**وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾[**التوبة: ١١١**]، وبناء عليه سأفصّل القول فيها فيما يلي:

أولا التوراة:

(التوراة) قال ابن منظور: (**قال الفراء: التوراة من التَّفْعِلة كأنها أخذت من أَوْرَيتُ الزِّنَاد**[(3)] **ووَرَّيتُها، وقال البصريون: توراة من أصلها فَوْعَلة وهي كثيرة في الكلام مثل الحَوْصلة ـ معدة الطائر ـ وكل ما قلت فيه فَوْعَلْتُ فمصدره فَوْعَلَة، فالأصل عندهم (وَوْرَاة) لكن الواو الأولى قلبت تاء كما قلبت في تَوْلج وإنما هو من فَوْعل من ولجت، من ورَّيْتَ الشيء وواريتَه: أخفيتَه، ووَرَّيْتُ الخبر جعلته ورائي وسترته، وتَوَارَى: استتر، ووَرَّيتُ الخبر أورِّيه تَوْرِيَة: إذا سترتُه وأظهرتُ غيرَه، ومنه الحديث: (قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا)**[(4)]، **أي ستره وكنَّى عنه وأوهم أنه يريد غيره، ومنه قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾[الأعراف: ٢٠]، أي سُتِر على (فُوعِل) وقرئ (وُرِّيَ عَنْهُمَا) بمعناه، ورَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوريةً أي سترته وأظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان، لكن لام وراء همزة**)[(5)]، إذن هناك مادتان لغويتان للتوراة الأولى (**ورَّى وأورى**) بمعنى أظهر وستر من الأضداد، وعليه تكون التاء ملحقة، والثانية (**وُورى، وارى**) بمعنى ستر وعليه تكون التاء أصلها الواو ثم قلبت تاء.

موقف الفرق الدينية اليهودية من كتابهم المقدس:

---

(١) المعجم الوسيط، وضع مجمع اللغة العربية، مادة (كتب) (ص٧٧٤)، ط مكتبة الشروق الدولية، سنة ٢٠٠٤.

(٢) مثل الزرادشتية أصحاب زرادشت بن بورشست ظهر في زمان الملك كشتاسف بن لهراسب، وهي فرقة مجوسية تعظم النار، زعموا أن لهم أنبياء وملوكا، جاء زرادشت بكتاب سماه (نسياه) ادعى وحيه ثم فسره في (زندة) ثم شرح التفسير في (زندية) وهذه اللفظة عربتها العرب إلى زنديق، انظر الإمام الشهرستاني، الملل والنحل، (٢/ ٢٦٤)، ط دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٢، ومثل ما ادعى مؤسس البابية ميرزا علي وحي كتاب (البيان)، ومثل ما ادعى مؤسس البهائية وحي كتاب (الأقدس) و(الإيقان)، وهو ميرزا حسين علي الملقب ببهاء الله، وهي كلمات مرصوصة لمعان غير مفهومة، دالة على الحبسة اللفظية والأخطاء النحوية، انظر الشيخ محمد الخضر حسين، القديانية والبهائية (١٣- ١٦)، ط مكتبة الإيمان، سنة ٢٠٠٦، وانظر د. عبدالمنعم خفاجي، الرد على البهائيين في ضوء المنهج اللغوي، (١٣- ١٤)، ط مكتبة مصر، سنة ١٩٨٦.

(٣) الزناد: أداة تدق الزندة فتشتعل فيتفجر البارود، انظر المعجم الوسيط، مادة (زند)، (ص٤٠٢)، ط مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٤.

(٤) صحيح الإمام البخاري كتاب الجهاد باب(١٠٣) رقم: ٢٩٨٤، وصحيح الإمام مسلم كتاب التوبة باب(٩) رقم: ٧١٩٤، واللفظ له، كلاهمامن حديث كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ.

(٥) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص ٤٨٢٢- ٤٨٢٣)، مادة (وري)، ط دار المعارف، بدون، وانظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص٥٢١)، ط دار الكتب العلمية، بدون.

اختلفت الفرق اليهودية الدينية حول تقديس بعض الأسفار، لأن (**فرقة الربانية**[1] **اعترفوا بأسفار العهد القديم ثم أضافوا إليها الأحاديث الشفوية لموسى والتلمود كما سيأتي، وأما الصدوقية**[2] **فاعترفوا بالأسفار الخمسة، وأما السامرية**[3] **فتعترف بالأسفار الخمسة وسفر يوشع والقضاة، وتنكر بقية الأسفار والتلمود، لأنهم لا يؤمنون بنبوة بعد موسى ويوشع بن نون، كما تختلف نصوص أسفارهم عن بقية نصوص غيرها من الفِرَق، وأما القرائية**[4] **فتمسكوا بأسفار العهد القديم، وأما الحسَدِيّون**[5] **فكان لهم اهتمام خاص بسفر اللاويين، ولم تعمر فرقتهم طويلا فانقرضت أواخر القرن الميلادي الأول**)[6].

بناء عليه فإن الفرق اليهودية لم تتفق على أسفار كتابهم المقدس واختلفوا عليها، وهذا يدل على قمة التهاون في وحي الكتاب المقدس عند اليهود، ولما كانت (**الطائفة الربانية**) هي أشهر الفرق وأكثر اليهود تنسب إليها سأتناول أسفار الكتاب المقدس عندهم وهي تنقسم إلى الكتاب المقدس، والتلمود:

أما الكتاب المقدس فهو أربعة أقسام: القسم الأول: يسمى (**التوراة**) وهي خمسة أسفار: (**التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية**)، وهي أهم أسفار العهد القديم، وينسبها اليهود لموسى، ويعتقدون أنها بوحي من الله، وأنها تتضمن التوراة التي تلقاها موسى عن ربه على جبل الطور[7]، بأرض سيناء.

القسم الثاني: يسمى (**الأسفار التاريخية**)، وهي اثنا عشر سفرا تعرِض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين، وتبين تاريخ القضاة والملوك، وهي: **(يوشع، والقضاة، وراعوث وسِفْرَا صموئيل، وسِفْرَا الملوك، وسِفْرَا أخبار الأيام، وعزرَا، ونحميا، واستير)**.

القسم الثالث: يسمى (**الأسفار الشعرية أو الأناشيد**)، وهي خمسة أسفار: (**أيوب، ومزامير داود، والأمثال، والجامعة، ونشيد الأناشيد الثلاثة لسليمان**)، وهي مجموعة غنائية وأسفار شعرية.

القسم الرابع: يسمى (**أسفار الأنبياء**) وهي سبعة عشر سفرًا: (**أشعياء، وأرمياء، ومراثي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونس (يونان)، وميخا، وناحوم، وحبقوق،**

---

(١) الربانية: هم الفريسيون وهم جمهور اليهود االقائلين بأقوال الأخبار ومذاهبهم، وهم ألد أعداء المسيح، انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١٢٢)، ط المكتبة التوفيقية، سنة ٢٠٠٣، وانظر د. صموئيل رزفي، تجديد الفكر الديني، (ص٨٥)، ط دار الثقافة سنة ٢٠٠٣.

(٢) الصدوقية: نشأت تلك الفرقة في القرنين السابقين لميلاد المسيح، وهم على خلاف مع الفريسيين، ولهم اهتمام خاص بسفر عزرا، وهم بجهة اليمن، انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١٢١)، المرجع السابق، وانظر د. صموئيل رزفي، تجديد الفكر الديني، (ص٨٦)، المرجع السابق.

(٣) السامرية: يبطلون كل نبوة بعد موسى ويوشع ويقولون مدينة القدس هي نابلس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يستحلون الخروج من الشام، انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١٢١)، المرجع السابق.

(٤) القرائية: أنشأها عنان بن داود في القرن الثامن بعد الميلاد، في عهد أبي جعفر المنصور (٧١٢- ٧٧٥م) وأطلِق عليها العنانية، ولا يتعدون شرائع التوراة، أنكروا تشريع الربانية، وهم على خلاف معهم ، وهي بالعراق ومصر والشام، وتفرع منها فرق أخرى منها طائفة بنيامين بن موسى الفارسي والطائفة الأكبرية في مدينة أكبر بنهاوند، انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١/ ١٢١- ١٢٢)، المرجع السابق، وانظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص٧٠)، ط نهضة مصر، ٢٠٠٤

(٥) الحسديون: ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد، تحرم الأضحية والقرابين، وتنكر العنصرية، وتقرر مبدأ المساواة بين الناس، وانظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص٦٧)، المرجع السابق.

(٦) انظر د. صموئيل رزفي، تجديد الفكر الديني، (ص٨٥)، مرجع سابق، وانظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص٦٣-٧٠)، مرجع سابق، وانظر د. عبدالوهاب المسيري، اليهود واليهودية، (١١٤/٥)، ط دار الشروق، سنة٢٠٠٥.

(٧) جبل الطور: هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى عليه السلام بوحي التوراة إليه، وأقسم به في قوله: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾[الطور: ١-٢]، وقوله: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ﴾[التين:٢].

وصُفُنْيا، وحجّي، وزكريا، (وهو غير زكريا أبي يحيا الوارد بالقرآن)، وملاحي، وملاخيا)، ادعى اليهود في هؤلاء أنهم أنبياء إسرائيليون أُوحِيَ إليهم، عدا يونس لورود قصته في القرآن[1]، وهذه الأسفار ليست محل إجماع بقية طوائف اليهود.

أما التلمود فهو (**بحوث الأحبار الربانية حول العقيدة والشريعة والتاريخ وهي (٦٣) سفرًا أُلِّفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وأطلق عليها اسم (المشناه) بمعنى المكرَّر، ثم شرحت في (الجمَارا) بمعنى الشرح أو التعليق، وأُلِّف هذا الشرح في فترة تمتد من القرن الثاني حتى السادس بعد الميلاد، وتألف من المتن والشرح ما أطلق عليه اسم (التلمود) أي التعاليم**)[2] وقد عمل الربانيون بالتلمود، وأنكرته بقية الفِرق الدينية اليهودية.

ثانيا: **الإنجيل**:

(**الإنجيل**) (**اسم عبراني أو سرياني، وقيل: عربي، ويؤنّث ويذكَّر فمن أنَّث فعلى الصحيفة، ومن ذكَّر أراد الكتاب، والإنجيل اسم للكتاب المنزَّل على عيسى، كالإكليل من النجْل وهو الأصل والطَّبع**)[3]، قال تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ**﴾[الحديد: ٢٧]، وورد بالأثر في صفة الصحابة: (**أناجيلهم في صدورهم يقرءونها**)[4]، جمع إنجيل أي يقرءون كتبهم عن ظهر قلب، ويحفظونها في صدورهم.

موقف الفرق الدينية النصرانية من كتابهم المقدس:

الكتاب المقدس عند النصارى يتكون من العهدين:**الأول**: العهد القديم وهو كتاب اليهود المقدس، وقد سبق بيانه. **الثاني**: العهد الجديد، ولم يكن الكتاب المقدس عند فرق النصارى الدينية محل اتفاق، لأن فرقة البروتستانت[5] خالفوا عدد الأسفار المعتبرة لدى الكنيسة التقليدية، فحذفوا من طبعات العهد الجديد البروتستانتية، أسفارا هي على الترتيب (**طوبيا ويهوديت تتمة سفر استير، الحكمة لسليمان، وحكمة يشوع بن سيراخ، باروخ تتمة سفر دانيال، المكابين الأول والثاني**)[6]، فهذه الأسفار وسيأتي تقييم هذا الخلاف في تقييم مدى وحي أسفار الكتاب المقدس عند النصارى.

---

(١) انظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص١٣- ١٦)، بتصرف واختصار، مرجع سابق، وانظر د. عبدالوهاب المسيري، اليهود واليهودية، (٥/ ١١٤)، ط دار الشروق، سنة ٢٠٠٥، وانظرد. نعمان عبدالرزاق السامرائي، الماسونية واليهود والتوراة، (ص٩٦)، ط دار الحكمة، بدون تاريخ، ووردت قصة يونس في سورة يونس والأنبياء والصافات.

(٢) انظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص٢٤)، المرجع السابق، وانظر س ليفي، كنوز التلمود، ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسي، (ص١١- ١٢)، ط دار التراث، القاهرة، سنة ١٩٩١.

(٣) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص٤٣٥٦)، مادة (نجل)، وانظر الشيخ محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١٤/١)، ط الحلبي، سنة ١٩٨٠، وانظر د. أبوضيف مجاهد، التبيان في علوم القرآن، (١/ ١٧)، ط دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨٧.

(٤) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، باب من روى عن ابن مسعود أنه لم يكن مع النبي ليلة الجن، رقم: ٩٨٦٠، من حديث ابن مسعود، والإمام الطبري، في تفسيره جامع البيان، تأويل قوله: (وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه)[الأعراف: ١٥٠]، رقم: ١٣٨٥٥، من حديث قتادة والبيهقي، في دلائل النبوة، باب صفة رسول الله في التوراة والإنجيل، رقم: ٣٥٣، (١/ ٣٠٠)، من حديث وهب بن منبه، بسند منقطع.

(٥) البروتستانت: أتباع الكنيسة البروتستانتية، وهي كلمة أصلها لاتيني تدل على معنى الشهادة من شيء، وتعني الاحتجاج، وطائفة البروتستانت هم المحتجون، انظر نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، (ص١٤)، ط دار الثقافة، سنة ١٩٨٢.

(٦) انظر نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، (ص١٤)، المرجع السابق، وانظر ماهر يونان عبدالله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، مراجعة القس جرجس صبحي، (ص١٤٦)، ط سنة ٢٠٠١، وانظر د. عبدالوهاب المسيري، المرجع السابق، (٣/ ص٦-٧)، وانظر د. عادل محمد درويش، النصرانية بين الحقيقة والتحريف، (ص٢٢٥)، ط القاهرة، سنة ٢٠٠٥.

وقد استقر نصارى الكاثوليك[1] والأرثوذكس[2] في أوائل القرن الخامس عشر على اعتماد (٢٧) سِفْرًا للعهد الجديد قرّروا أنها مقدسة مُوحَى بها، وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين: **الأولى**: مجموعة الأناجيل وهي أربعة (**متى ومرقس ولوقا ويوحنا**)، و**الثانية**: مجموعة رسائل بولس، وعددها أربع عشرة رسالة، و**الثالثة**: مجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبعة رسائل، وأما السفران: **أولهما**: سفر أعمال الرسل للوقا، **ثانيهما**: سفر الرؤيا ليوحنا[3]، ويؤمن بقانونية تلك الأسفار.

ثالثا القرآن الكريم:

القرآن في اللغة: **(مصدر بمعنى القراءة، من الفعل قَرَأَ يَقْرأ قِرَاءَة، كالغُفْران ثم نُقل من المعنى المصدري وجعل اسمًا للكلام المنزَّل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- من باب تسمية المفعول بالمصدر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[القيامة: ١٧- ١٨]، وهمزته أصلية ونونه زائدة، وقد تحذف الهمزة للتخفيف كقراءة ابن كثير (قُرَان)، وإن دخلت (أل) بعد التسمية فهي لإلماح الأصل وليست للتعريف، وقيل: من القَرْيِ وهو جمع الماء في الحوض، من الفعل قَرَيْتُ الماء في الحوض قَرْيًا وقِرَى، قال أبو ذر الغفاري: (وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ)[4]، أي أنواعه، واحِدُه قَرْوٌ وقِرِيٌ وقَرِيٌّ، وهو كل شيء على طريق واحد)[5].**

وتتعدد إطلاقات القرآن عند العلماء تبعا لتعدد اختصاصاتهم، ومنها **(أولا: إطلاق القرآن عند المتكلمين يطلق على (كلام الله) كأحد صفات الله السبع الواجبة لله تعالى[6]، ثانيا: إطلاق القرآن عند الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية يطلق على (اللفظ المنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس)، واقتصر البعض على وصف الإعجاز، وأضاف البعض الإنزال إليه، واقتصر البعض على وصفي (النقل في المصاحف والتواتر)، ولأن القرآن مصدر أحكام الفقه وقواعد العربية كان الجانب اللفظي الشغل الشاغل للفقهاء وعلماء العربية لتوقف علومهم عليه، ولما كان الإعجاز يتوقف على اللفظ القرآني شغل اهتمام جميع العلماء في شتى اختصاصاتهم حتى المتكلمين، وإطلاق القرآن على الكل وعلى أبعاضه على الحقيقة مشتركٌ لفظيٌّ، أو موضوع للقدر المشترك بينهما ليكون مشتركًا معنويًّا)[7].**

والقرآن يتكون من (**مائة وأربع عشرة سورة**)، أنزل مفرَّقًا – على خلاف نزول التوراة والإنجيل- منها ما أنزل بمكة قبل الهجرة، ومنها ما أنزل بالمدينة بعد الهجرة، واعترض المشركون على تنجيم نزول القرآن، قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٢- ٣٣]**، فكان تنجيم

---

(١) الكاثوليك: أتباع الكنيسة الغربية الكاثوليكية كلمة أصلها يوناني من (كاثوليكوس) بمعنى الجامعة، وتسمى الكنيسة الغربية أو البطرسية أو الرسولية، انظر صموئيل مشرقي، النصارى بين الكتاب المقدس والتقليد، (ص٧)، وانظر نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، (ص٢٦)، ط دار الثقافة، سنة ١٩٨٢.

(٢) الأرثوذكس: أتباع الكنيسة الشرقية الأثوذكسية، وتعني استقامة الرأي للتعبير عن كل من وقف عند حدود ما أقرته المجامع العامة المعترف بها لدى الأرثوذكس، القس صموئيل مشرقي، المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد، (ص٧)، ط الكنيسة المركزية، سنة ١٩٧٩.

(٣) انظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص٨٥- ٨٦)، مرجع سابق.

(٤) صحيح الإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب (٢٨) رقم: ٦٥١٣، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٥) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص٣٦١٦)، مادة (قرأ)، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، (٢/ ٨٨٨- ٨٨٩)، ط القاهرة، سنة ١٩٩٠.

(٦) الإمام النسفي، العقائد النسفية، (ص٤١- ٤٢)، ط مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٨٠، وانظر أبوإسحاق الشيرازي، الإشارة إلى مذهب أهل الحق، تحقيق د. محمد الجليند، (ص١٣٠- ١٤٨)، ط المجلس الأعلى، سنة ١٩٩٩.

(٧) انظر محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١٤/١- ٢٢)، ط الحلبي، سنة١٩٨٠، وانظر مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص٢٠)، ط مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٩٥.

النزول وتفريقه لتثبيت قلب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- كما كان لحكمة المناسبة على حسب الأحداث المستجدة والمسائل الواردة والأحكام المختلفة ، والقرآن موثوق السند المتصل إلى النبي.

المبحث الثاني: التعريف بالدين

المصطلح الثاني في عنوان الدراسة، (**الدين**) ويدور تعريف الدين بين اللغة واصطلاح العلماء:

أولا: الدين في اللغة:

الدِّين في اللغة (**من الفعل دَيَنَ، قيل: دِنتُه ودِنْتُ له أي أطعته، جمعها أدْيَان، ومن الفعل دَانَ بكذا دِيَانَة، ودان نفسه أدَّبها واستعبدها، وتديَّن به فهو ديِّن ومتديِّن، وديَّنْت الرجلَ تَدْيِينًا إذا وَكَلْتَه إلى دِينِه، ومنه: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»**[1]**، ومن إطلاق بعض مشتقات الدين على ألسنة النبي ما ورد بالأثر: (البِرُّ لَا يَبلَى والإِثْمُ لَا يُنسَى والدَّيَّان لَا يَمُوت، فكُنْ كَمَا شِئْت كَمَا تَدِين تُدَان)**[2]**، فالديان اسم بمعنى القاضي، وقال عمر: (ويْلٌ لِدَيَّانِ الأرضِ مِن دَيَّانِ السَّماء يَوْم يَلْقَونَه)**[3]**)**[4]**.**

كثر استعمال القرآن للدين فأطلق على أمور عدة، وأشار إليها علماء اللغة ومنها ما يلي: (**الدِّين: الطاعة، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦]، فلا يتأتى الإكراه فيه، ومنه قوله: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾[النساء: ١٤٦]، فالطاعة لا تكون إلا بالإخلاص، والدين: الجزاء، ومنه قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤]، أي يوم الجزاء، والدِّين: الحكم والقضاء ومنه قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[يوسف: ٧٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[النور:٢]، أي في حكمه وقضائه وشريعته، والدِّين: العادة والشأن مطلقًا يطلق على الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، ومنه ذلك ديني ودَيْدَني أي شأني وعادتي.**

والقرآن الكريم أطلق الدِّين وأراد :خصوص الرسالة الخاتمة، ومنه قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥]، يعني الإسلام، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾[النساء: ١٢٥] ويراد به الدين الخاتم الذي جاء به سيدنا محمد ـصلى الله عليه وسلمـ من إطلاق الدين على رسالة الإسلام كخاتم رسالات الله لأهل الأرض.

والدِّين كالملة قد يطلق الدين على الأصول الخاصة ومنه: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[الأنعام: ١٦١]، لأن أصول ملل الأنبياء واحدة، فيكون الدين كالملة[5]**، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة، فقد يُتجوَّز فيه فيطلق على الفروع الخاصة، ومنه قوله: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥])**[6]**،**

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب (٢٥) رقم: ٢٦٤٧، واللفظ له، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وابن ماجة كتاب الزهد باب (٣١) رقم: ٤٤٠١، كلاهما من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ.

(٢) أخرجه البيهقي، الأسماء والصفات، باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له، رقم: ١٣٢، وقال: هذا مرسل، والبيهقي، الزهد الكبير، فصل في قصر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل، رقم: ٧١٨، ومعمر بن راشد، في الجامع، باب الاغتياب والشتم، رقم: ٨٧١، كلهم من حديث أبي قلابة، ورواه أحمد في الزهد باب زهد أبي الدرداء، رقم: ٧٧٣، موقوفا على أبي الدرداء ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد، الزهد، زهد عمر بن الخطاب ﷺ، رقم: ٦٦٩، واللفظ له، والبيهقي، السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب إثم من أفتى أو قضى بالجهل، رقم: ١٨٩٣٢، كلاهما من حديث عمر موقوفا.

(٤) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص١٤٦٨- ١٤٧٠)، مادة (دين)، وانظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص١٧٥)، مرجع سابق، والفيومي، المصباح المنير، (ص١٢٥)، ط دارالحديث، سنة ٢٠٠٣، والرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، (ص٢١٧)، ط دار الحديث بدون، والجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، (ص١٤٢)، ط دارالريان، سنة ١٤٠٣هـ، وأبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص٣٧٧)، ط دار الحديث، سنة ٢٠١٤، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، (ص٤٢٦- ٤٢٧)، طبعة سنة ١٩٨٩.

(٥) الملة هي: (وضع إلهي محدد للناس ليقيموا به معاشهم ويستعدوا لمعادهم وينالوا إن استقاموا عليه سعادة الدنيا والآخرة)، انظر د. محمد طلعت أبوصير، أضواء على مقارنة الأديان، (ص١١)، ط دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨٨.

(٦) انظر المراجع السابقة.

إذن الدِّين له معان منها: الطاعة والإخلاص، والجزاء، والحكم والقضاء، واستعير للشريعة وفروعها، والعادة سواء أكانت حقا أم باطلا، والدِّين ينسب إلى الله تعالى، والدين كالملة تنسب لرسالة الرسول الخاتم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: **الدين في الاصطلاح**:

لأهمية الدين للبشر فقد عرَّفه كثير من العلماء في الغرب والشرق:

أولا: تعريف الدين عند علماء الغرب، فقد نقل الدكتور عبدالله دراز تعريفات علماء غربيين للدين، فمنها تعريف الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (١٧٢٤- ١٨٠٤)[١]، فقال: (**الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية**)، وعرَّفه الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر: (١٨٢٠- ١٩٠٣)[٢]، فقال: (**الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية هو العنصر الرئيس في الدين**) كما عرف الأنثروبولوجي[٣]، البريطاني إدوارد تايلور (١٨٣٢- ١٩١٧)[٤] الدين فقال: (**الدين هو الإيمان بكائنات روحية**)[٥]، وهذه التعريفات انطباعات عن مناهج واضعيها العلمية، ومنها كثير من المناهج المنافية والمصطدمة مع الدين الصحيح النسبة إلى الله تعالى، لذا فقد مست الحاجة للبحث عن تعريف مناسب للدين الصحيح النسبة إلى الله تعالى.

ثانيا: تعريف علماء الإسلام للدين، فقد عرّف أبوالبقاء الكفوي الدين[٦]، فقال: (**وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبيًّا أو قالبيًّا كالاعتقاد والصلاة**)[٧]، وعرّف دكتور محمد عبد الله دراز[٨] الدين باعتبار عام، فقال: (**الاعتقاد بوجود ذات - أو ذوات – غيبية علوية لها شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعني الإنسان؛ اعتقادًا من شأنه أن يبعث على مناجاة**

---

(١) إيمانويل كانط: (١٧٢٤– ١٨٠٤)، فيلسوف ألماني، وضع كتابه (نقد العقل المحض)، ١٧٨١، في الطبيعة وحدود المعرفة الإنسانية، وهو يعد امتداد لفلسفة ديفيد هيوم، اعتقد أن العقل ينهمك بصورة نشطة في الأشياء التي يجربها، وجادل الفلاسفة لإثبات أن لدينا معرفة حدسية ولا عقلانية بالأشياء، له (نقد العقل العملي)، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الكاف– كلمة (كانط)، ط المملكة العربية السعودية، وهذا عن الإصدار الإلكتروني سنة ٢٠٠٤.

(٢) هربرت سبنسر: (١٨٢٠– ١٩٠٣)، فيلسوف بريطاني، حاول تكوين فلسفة شاملة على أساس الاكتشافات العلمية في عصره، فتأثر بتشارلز داروين عالم الطبيعة الإنجليزي، في فكرة (النشوء والارتقاء) التطور التدريجي، على علم الأحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم أخرى، ومن أعمال سبنسر العلمية، (المبادئ الأولية) ١٨٦٢ و(مبادئ علم الأخلاق)، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف السين– كلمة (سبنسر).

(٣) الإنثربولوجيا: علم دراسة الجماعات البشرية الفطرية، أو التي لا تزال أقرب إلى الفطرة، من حيث كونها كائنات حية ذات عقل وثقافة، انظر المعجم الفلسفي، وضع مجمع اللغة العربية، (ص٢٤)، ط سنة ١٩٨٣.

(٤) إدوارد تايلور: (١٦٤٢– ١٧٢٩)، كان شاعرا في المرحلة الاستعمارية في الأدب الأمريكي (القرنين ١٧ و١٨م)، ولد تايلور بإنجلترا، وبسبب عدم رغبته في التوقيع على ميثاق الولاء للكنيسة الإنجليزية هاجر إلى نيو إنجلاند بأمريكا عام ١٦٧١م، وأصبح تايلور إدوارد قسًّا في ويستفيلد بولاية ماساشوسيتس، وأقام فيها حتى وفاته، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف التاء– كلمة (تايلر).

(٥) د. محمد عبدالله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (ص٣١– ٣٢)، ط الأزهرالشريف، سنة ٢٠٠٧.

(٦) أبوالبقاء الكفوي: (...–١٠٩٤هـ) (....–١٦٨٣م)، هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، من قضاة الأحناف، ولي القضاء بتركيا والقدس وبغداد، وعاد لاسطنبول فتوفي بها، انظر خيرالدين الزركلي، الأعلام، (٢/ ٣٨)، ط دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢.

(٧) انظر أبوالبقاء الكفوي، الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص٣٧٧)، ط دار الحديث، سنة ٢٠١٤.

(٨) الدكتور محمد عبدالله دراز: (١٨٩٤– ١٩٥٧م) نما في بيت علم وفضل، التحق بالأزهر ونال العالمية سنة ١٩١٦، وعين مدرسا بالأزهر، ثم مدرسا بكلية أصول الدين، ثم رشح لعضوية البعثة الأزهرية لجامعة السوربون بفرنسا سنة ١٩٣٦، وتوفي بالمؤتمر الدولي الإسلامي بلاهورباكستان في يناير ١٩٥٧م، انظر د. محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، (ص١٦٥– ١٦٩)، ط مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٩٨٧.

تلك الذات السامية رغبة ورهبة في خضوع تام)[1]، ومن الواضح أن قول دراز (**ذات أو ذوات**) الإفراد على اعتبار أن الله تعالى واحد، والجمع على اعتبار ما يجب التصديق بوجوده من الغيبيات الداخلة في إطار التصديق الواجب في الدين، ذلك بعدما استخلص العناصر الرئيسة للدين.

إن هذين التعريفين على اعتبار الدين السماوي العام، وليس عموم الأديان، فلا يدخل فيه النحل الوضعية، وإن ادعي فيها وحي أو نسبة لله تعالى؛ لأن نسبة النحل الوضعية إلى البشر بالتدخل في تكوينها بوضع معتقداتها ورسم أحكامها بما لا يقطع صلتها بالبشر وضعًا أو يربطها بالله تعالى بأي رباط أصلًا؛ لذلك تضاف لواضعها فنقول: (المانوية) نسبة إلى ماني[2]، وهي نحلة[3] بشرية لا صلة لها بالوحي؛ لظهورها بعد رسالة النبي الخاتم.

***

(١) د. محمد عبدالله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (ص٤٨)، مرجع سابق، وقريب من هذا تعريف د. محمود محمد مزروعة، الدين، انظر له، دراسات في الدين، (ص٢٨)، ط دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨٩.

(٢) المانوية: نسبة إلى ماني بن فتّق بابك بن أبي برزام، أصل أبيه من همدان انتقل لبابل وبها بيت الأصنام، ودعا في الهند والصين وخراسان، وخلف في كل ناحية صاحبا له، ادعى ماني الوحي له، فادعى الوحي لكتب أربعة هي: (الأسرار والجبابرة والأحياء وفرقماطيا)، انظر الشهرستاني، الملل والنحل، (٢/ ٢٦٨- ٢٧٤)، ط دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٢، وانظر ابن النديم، الفهرست، (٣٢٧- ٣٣٦)، ط هيئة قصور الثقافة، سنة ٢٠٠٦.

(٣) النحلة في اللغة: النسبة بالباطل وجمعها نِحَل، وهي اصطلاحًا: (وضع بشري معتمد على العقل والذهن لتقيم الجماعة على أساسه نشاطها ونظامها)، انظر د. محمد طلعت أبوصير، أضواء على مقارنة الأديان، (ص١١)، ط دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨٨.

المبحث الثالث: **التعريف بالعلم**

المصطلح الثالث في عنوان الدراسة، (**العلم**) ويدور تعريف العلم بين اللغة واصطلاح العلماء:

أولا العلم في اللغة:

أولا العلم في اللغة: (**من الفعل عَلِم علْمًا وعَلُم هو نفسه، وعلِم وفقِه أي تعلَّم وتفقَّه، وعَلُم وفَقُه أي ساد العلماء والفقهاء، وجمع عالم عُلَمَاء وعُلَّام، وعَلَّامة: إذا بالغت في وصف العَالِم، وعلَّمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه، وتعلَّم تستعمل بمعنى (اعلم) بمعنى الأمر بالعلم، ومنه الحديث: (تَعلَّمُوا العلمَ وعَلِّمُوه النَّاسَ)**[1]، **وعلِم بالشيء: شَعَر به، واستَعْلم الخبر: طلبه، وعلِم الأمر: أتقنه، وعَلِم الشيء: عَرفه وخَبَره، والعلم نقيض الجهل بمعنى (المعرفة)، ويتعدى لمفعولين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾**[الممتحنة: ١٠]، **أي: عرفتموهن، وقوله: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾** [المائدة: ١٠٩]، **أي: لا معرفة، والتَّعلِيم: تَنْبِيه النفس لتصور المعاني، والتَّعلُّم: تَنَبُّه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل العلم في معنى الإعلام كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾**[الحجرات: ١٦])[2]، إذن إطلاقات ومعاني العلم في اللغة تدور بين: (**بلوغ اليقين والفقه وإدراك الشيء وإتقان فهمه، وحصول المعرفة، والخبرة الحاصلة والمعلومات المتحصَّلة، والشعور بالشيء، والإعلام بالشيء**).

ثانيا العلم في الاصطلاح وشمولية مفهوم العلم:

إن العلم لدى علماء الإسلام فقد بدت بوضوح شمولية الرؤية الإسلامية لمفهوم العلم من ناحيتين:

الناحية الأولى الدالة على شمولية مفهوم العلم عند المسلمين: تقسيم العلماء العلم إلى علم الباري تعالى، وهو (صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته تعالى)، وأما علم البشر فهو مُحدَث، وقد تفرع علم البشر إلى تقسيمات عدة هي: (**التقسيم الأول للعلم البشري: إلى (بديهي واستدلالي)، البديهي: ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كعلم الشخص بوجوده، والاستدلالي: ما يحصل بنظر وفكر. التقسيم الثاني للعلم البشري إلى (ضروري وكسبي)، الضروري هو ما أحدثه الله تعالى وخَلَقه في العالم من غير فكر وكسب من جهته، والكسبي قسمان: (عقلي وسمعي)، أما العقلي فهو ما يحصل بالتأمل والنظر بمجرد العقل كالعلم بحدوث العالم ، وثبوت الصانع، وأما السمعي فهو ما لا يحصل بمجرد العقل بل بواسطة الوحي كالعلم بالحلال والحرام وسائر ما شرع من أحكام. التقسيم الثالث للعلم البشري إلى: (نظري وعملي) النظري هو ما إذا علم فقد كمل كالعلم بموجودات العالم، والعملي هو ما لا يتم الإيمان إلا بأن يُعمل به، كالعلم بالعبادات**)[3]، ويلاحظ على هذه الأقسام للعلم البشري أمور، منها ما يلي:

الأولى: هناك أسماء تداخل حيث المفهوم، مثل: (**الضروري والبديهي**)، و(**الاستدلالي والعقلي**).

الثانية: وجه اكتساب العلم السمعي قيام المتعلم بتلقي آيات الكتاب وأحاديث السنة بالسند المتصل إلى سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ووجه اكتساب العلم العقلي قيام المتعلم بإعمال الفكر وإنعام النظر للاستدلال على مسائل وقضايا العلم الخاص سواء أكان نقليا أو عقليا أو طبيعيا من العلوم.

الثالثة: هذه التقسيمات دالة على عموم النظرة لدى علماء الحضارة الإسلامية فجمعوا في مفهوم العلم بين الدين وما فيه من قضايا غيبية سمعية، وبين الكون وما فيه من قضايا ومسائل كونية.

---

(١) أخرجه الدارقطني، سنن، كتاب الفرائض والسير وغير ذلك، رقم: ٣٥٩٦، واللفظ له، وابن عبدالبر، جامع بيان العلم، باب جامع في آداب العالم والمتعلم، رقم: ٥٨٢، كلاهما من حديث أبي سعيد ، والبيهقي، شعب الإيمان، الثامن عشر، باب في نشر العلم، رقم: ١٦٩٧، من حديث أبي بكرة .

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص٣٠٨٢- ٣٠٨٦)، مادة (علم)، والفيومي، المصباح المنير، (ص٢٥٤)، والرازي، مختار الصحاح، (ص٤٥١- ٤٥٢)، وأبوالبقاء الكفوي، الكليات، (ص٣٧٧)، مرجع سابق.

(٣) انظر الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، (ص٢٠٠)، ط دار الريان للتراث، بدون، وانظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص٣٤٣)، وانظر أبوالبقاء الكفوي، الكليات، (ص٥٢٥).

الناحية الثانية الدالة على شمولية مفهوم العلم: اصطلاح علماء الإسلام لمفهوم العلم بأنه: **(إدراك الشيء بحقيقته، وهو ضربان: الأول: إدراك ذات الشيء بمعنى (اليقين)، ويتعدى لمفعول واحد، قال تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال: ٦٠]، والثاني: الحكم على شيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه)**(١)، لذلك تعددت إطلاقات العلم بتعدد العلوم، **(فالعلم عند الحكماء: صورة الشيء الحاصلة في العقل، أو حصول الصورة في العقل، أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشافه، والعلم عند المتكلمين: صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به، وهو المراد من قولهم: (إنه صفة توجب لمحلها تمييزا لا يحتمل النقيض)، ولو كان هذا التمييز بواسطة الحواس، والعلم في الشرع العام: معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عباده وخلقه، والعلم عند الماديين: خصوص اليقينيات المستندة للحس وحده)**(٢)، وهذا هو المعنى المختار المناسب للدراسة حيث إن العلم.

المعنى المختار للعلم بناء على (إطلاقات العلم):

تنبه علماء الإسلام لاعتبار أن شرف العلم يعود إلى شرف موضوعه، فلم ينصرفوا بمفهوم العلم إلى جانب علم على حساب علم آخر، لذا كان ترجيح مفهوم العلم عند إطلاق العلم في التدوين العام، فظهر للعلم ثلاثة إطلاقات بالاشتراك عند التدوين وتدور بين: **(الإطلاق الأول: المسائل والمعلومات المضبوطة بجهة واحدة التي يتألف منها علم معين، نظرية أو ضرورية أو جزئية أو شخصية. الإطلاق الثاني: الإدراك لتلك المعارف السالفة. الإطلاق الثالث: ملكة استحصال المعارف السالفة أو ملكة استحضارها، والملكة كالعقل باعتباره سبب الإدراك، من إطلاق السبب على المسبّب)**(٣)، إن معنى العلم على الإطلاق الثالث هو المتبادر إلى الذهن، والتبادر أمارة الحقيقة، لدلالته على **(الإدراك والمسائل وملكة التحصيل)** وهي معان متبادرة عند إطلاق العلم مع اختلاف موضوعه.

مقارنة معنى العلم لدى رجال الدين والعلماء:

إن المعنى الراجح لمعنى العلم لم يرد بجلاء عند رجال الدين اليهودي والنصراني، لأن العلم لديهم خاص بالعلم بالكتاب وأحداثه وأحواله وأشخاصه، وإن فقرات الكتاب المقدس خلت من النزعة العلمية إلا خطرات غير منسجمة لا تؤسس لحقيقة علمية، فلم يظهر هذا المفهوم العلمي لدى علماء الطبيعة (اليهود والنصارى) إلا بجمع متحفظ بين الدين والعلم، وهذا الاتجاه قد حاربه رجال الدين، أو بتنصل تام من ربقة تعاليم الكتاب المقدس، وسوف يأتي تفصيل علاقة الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى بالعلم.

وإن القرآن يرشد إلى شمولية العلم فقال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر: ٢٧-٢٨]**، فاعتبر التصور الإسلامي علوم النبات والجبال.. ولكل منها علماء يخشون الله تعالى، فهذا يدل على شمول العلم في القرآن، وعدم اختصاص أهل علمٍ بعينه بلقب **(العلم)** بإقصاء غيره من العلوم، وسيتضح –إن شاء الله- أثناء الدراسة موقف الكتب السماوية من العلم، مع بيان الرؤية القرآنية له.

فإذا اتضح تعريف **(الكتب السماوية، والدين، والعلم)** بإطلاقات العلم في التدوين العام، ومن هنا أتسائل: **(هل كانت نسبة الوحي للكتب السماوية واحدة على السوية أم تختلف نسبة الوحي تبعًا لمفهوم علماء الدين السماوي للوحي نفسه؟)** ووجه هذا التساؤل أنه من خلال تحديد نسبة الوحي

---

(١) انظر الراغب الأصفهاني، المفردات، (ص٣٤٣)، مرجع سابق، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، (٢/ ٧٧٨-٧٨٧)، مرجع سابق، وانظر الجرجاني، التعريفات، (ص١٤٢)، مرجع سابق، وانظر أبوالبقاء الكفوي، الكليات، (ص٣٧٧)، مرجع سابق.

(٢) انظر محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/١٢- ١٤)، مرجع سابق.

(٣) انظر أبوالبقاء الكفوي، الكليات، (ص٥٢٥)، مرجع سابق، وانظر محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/١٢- ١٤)، مرجع سابق.

للكتب السماوية يتحدد بناءً على تلك النسبة مدى علاقة الكتب السماوية بالعلم بمفهومه العام الشامل للكون والطبيعة، إما اتصالا موجبًا أو انفصالا سالبًا؟! هذا ما سأتناوله بالدراسة في الفصل التالي.

***

الفصل الأول
مفهوم وحي الكتب السماوية
وآثاره وموقفها من العلم
(دراسة مقارنة)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم وحي الكتب السماوية.

المبحث الثاني: آثار مفهوم وحي الكتب السماوية.

المبحث الثالث: موقف الكتب السماوية من العلم.

المبحث الأول

مفهوم وحي الكتب السماوية

المطلب الأول: توطئة

معنى الوحي في اللغة: (**الإعلام في خفاء ويأتي بمعنى (الإلهام والأمر والإلقاء في الروع والإشارة والإيماء) فمن الإلهام قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[النحل: ٦٨]، ومن الأمر قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[الزلزلة: ٥]، أي أمرها، ومن الإلقاء في الروع قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص: ٧]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١]، ومن الإشارة قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾[مريم: ١١]، أي أشار إليهم)**[1].

والوحي مطلب شرعي لكتب الرسالات السماوية، لأنه أهم عنصر يميز الكتاب السماوي حيث يتلقّى الرسل الكرام الوحي من الله تعالى، وهو أمر جوهري في الكتب السماوية، وإن الإيمان به واجب، فيجب إثبات الوحي لكل نبي رسول، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[النساء: ١٦٣]، لذا فإن من الضروري قبل بيان موقف الكتب السماوية من العلم والكون بيان مفهوم الوحي في اللغة وعند أصحاب الكتب السماوية.

وما من شك أننا نقر بوحي موسى –عليه السلام- لأن الله تعالى أنزل التوراة وحيًا إليه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**﴾[المائدة: ٤٤]، والإقرار بصحة نسبة التوراة إليه ليقين ثبوت رسالته، قال تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء: ١٦٤]، ولأن موسى لا يفتري على الله الكذب، قال تعالى عنه على لسانه: ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾[الأعراف: ١٠٥]، كما نقر لعيسى –عليه السلام- أن الله تعالى أوحى إليه الإنجيل، قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾[البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ**﴾[المائدة: ٤٦]، فلا يمكننا التشكك في النسبة لهما لوجوب التصديق به.

لكن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى -بوضعه الحالي اليوم- يخالف مفهوم الوحي الصحيح، فثمة إشكاليات وتناقضات فيهما، لذلك أتسائل: (**أي الكتب السماوية صحت دلالة الوحي اللغوية له؟ وأي مفهوم للوحي عند رجال الدين اليهود والنصارى وعلماء المسلمين قد اتفق مع الدلالة اللغوية للوحي؟**) سأحاول طرح هذا التساؤل على الكتب السماوية، وذلك فيما يلي:

المطلب الثاني: مفهوم وحي كتاب اليهود المقدس

ما مفهوم الوحي عند رجال الدين اليهودي؟ وهل ثبت مفهوم الوحي (الحقيقي)، عندهم على مدى تاريخهم أيام السبي والنفي الذي تعرَّضوا له أم تطور معناه وتغيَّر؟ الجواب أن اليهود لم يحافظوا على مفهوم الوحي على مدى تاريخهم أيام السبي، بل بدّلوا وأضافوا للتوراة بموجب مفهوم الوحي عندهم؟! ومن الأدلة على ذلك:

أولا: الإقرار حيث أقرَّ أرميا[2] بتحريف مفهوم الوحي عند اليهود فيقول في السفر المنسوب إليه: (**إذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلا ما وحي الرب؟ فقل لهم: أي وحي؟! إني أرفضكم هو قول**

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، (ص٤٧٨٧– ٤٧٨٨)، مادة (وحي)، مرجع سابق، وانظر د. القصبي زلط، التبيان في علوم القرآن، ص (أ)، ط دار الأنصار، سنة ١٩٧٩.

(٢) أرميا: من أنبياء بني إسرائيل، نحو عام (٦٢٧ ق.م) وإرميا اسم عبري بمعنى (الله يؤسس)، انظر قاموس أعلام الكتاب المقدس، (ص٣٩)، وضع نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، تحرير: د. بطرس عبدالملك، د. جون ألكسندر طمسن، أ. إبراهيم مطر، ط شركة كومبو برايل، بدون تاريخ، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الألف– كلمة (إرميا)، وانظرد. نعمان عبدالرزاق السامرائي، الماسونية واليهود والتوراة، (ص٩٦)، ط دار الحكمة، بدون تاريخ.

الرب، فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته هكذا تقولون الرجل لصاحبه والرجل لأخيه بماذا أجاب الرب؟ وماذا تكلم به الرب؟ أما وحي الرب فلا تذكروه بعدُ؛ لأن كلمة كل إنسان وحيُه إذ قد حرَّفْتُم كلامَ الإلهِ الحيّ ربِّ الجنود)[١]، والكلام ينص على هذا الإقرار بتغيير بتحريف الوحي وتغيير مفهومه.

ثانيا: التوسع في إثبات النبوة: لأن من تكلم باسم الله، تثبت له النبوة، من تلك النماذج في الكتاب المقدس عند اليهود ومعترف به هو (**حزقيال**)[٢]، حيث (**جرى على لسانه مخاطبة الشعب باسم الإله، وقام بدور الكاهن الأعظم عشرين سنة، ووضع سفرًا لبني إسرائيل، وعدُّوه من وحي الله إليه وأدخلوه ضمن أسفار كتابهم المقدس**)[٣]، إذن تَغيَّر مفهوم الوحي بتوسع في دلالة النبوة.

ثالثا: تاريخ كتابة الأسفار ولغتها: دالة على تغيير وحي كتاب اليهود المقدس ومثال ذلك (**سفر استير**)[٤]، فورد في قاموس الكتاب المقدس أنه (**من الأسفار التاريخية وله مكانة خاصة ممتازة عند اليهود، وقد كتب باللغة العبرية المتأخرة وتخلله كلمات فارسية كثيرة، ويعتقد بعض العلماء أن السفر كتب أثناء حكم أرتزركسيس لونجمانوس (٤٦٥- ٤٢٥ ق.م)، ويميل البعض إلى كتابته في العصر الإغريقي فيظنون أنه كتب حوالي سنة ٣٠٠ق.م، ولا توجد معلومات كافية لتقدير تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق، ولا يشير إليه العهد الجديد**)[٥]، فمع علة مكانة سفر استير عند اليهود، لكنهم لم يعرفوا –على وجه اليقين- تاريخ تدوينه على التحقيق، وكذلك به ألفاظ فارسية، ولغة موسى العبرية؟ وأين موضع الوحي فيه ولا يعرف من النبي الذي أوحي إليه هذا السفر؟! فأمارات التحريف بادية.

رابعا: أثر الحضارات الأخرى في الكتاب المقدس: فيبين الطبيب والمؤرخ الفرنسي غستاف لوبون (١٨٤١- ١٩٣١)، دور التأثر اليهودي بالحضارة التي عاشوا فيها فقال: (**من ينظر إلى نظام الكون البابلي وهو أقدم من تاريخ التوراة بعدة قرون يبصر مشابهة للكونية التي وردت في سفر التكوين، وهي نسخة بسيطة عنه، وما كانت الكونية الكلدانية لتعم سوى بتبسيط القريحة السامية لها وبفضل خيال بني إسرائيل الجلي..** حتى انتهى لوبون إلى نتيجة هي: **إن التوراة كتاب أُلِّف في أدوار مختلفة أشد الاختلاف، ولا ريب في وجود فجوة عدة قرون لا تسدُّها وثائق التوراة**)[٦]، وقال القس صموئيل رزفي: (**إن المثال الواضح لتأثير الحضارة في العهد القديم تأثير حضارة مصر وبابل وآشور**)[٧]، إذن تأثر اليهود بالأمم والحضارات التي عاشوا فيها كان مردوده مؤثر على وحي كتاب اليهود المقدس، وهذا يسلم للأمر الثالث وهو توسُّع اليهود في معنى الوحي، كما أجازوا وقوع الوحي لأناس من غير الأنبياء.

---

(١) العهد القديم – سفر أرميا – [الإصحاح ٢٣/ (٣٣- ٣٦)].

(٢) حزقيال: من أنبياء بني إسرائيل، نشأ بالمنفى وتم سبيه في الدفعة الأولى سنة (٥٩٧ ق. م)، وحرقيال اسم عبري بمعنى (الله يقوي)، انظر مكرم مشرقي، قاموس أعلام الكتاب المقدس، (ص٢١٠)، ط مكتبة الإخوة، سنة ٢٠٠٠.

(٣) انظر مكرم مشرقي، قاموس أعلام الكتاب المقدس، (ص٧٦)، المرجع السابق، وانظر قاموس الكتاب المقدس، (ص٢١٠- ٢١٣)، باختصار، مرجع سابق.

(٤) استير بنت أبيجائل يرجح أنه من سبط بنيامين، اسمها في العبرية (هدسَّة) وهي شجرة الآس، ويغلب على الظن أن هذا الاسم من أصل هندي قديم ومعناه (سيدة صغيرة)، ثم انتقل للفارسية وأصبح معناه (كوكب) ويظن بعض العلماء أنه يرجع لأصل أكادي لفظة (أشتار) ويقابل في العبرية (عشتاروت)، وكانت أستير فتاة جميلة وهي (أستير إصحاح ٢: ١٥)، انظر قاموس الكتاب المقدس، (ص٤٧)، مرجع سابق، وانظر مكرم مشرقي، قاموس أعلام الكتاب المقدس، (ص١٥)، مرجع سابق.

(٥) قاموس الكتاب المقدس، وضعه نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، (ص٤٧- ٤٩)، ط شركة كومبو برايل، بدون تاريخ.

(٦) انظر غستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، (ص٦١- ٧٢)، ط عيسى الحلبي، بدون تاريخ.

(٧) انظر د. صموئيل رزفي، تجديد الفكر الديني، (ص١٦٦)، ط دار الثقافة، سنة ٢٠٠٣، وانظر زينون كاسيدو فسكي، الواقع والأسطورة في التوراة ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، (ص٢٢)، ط الأبجدية للنشر، دمشق سنة ١٩٩٠ .

خامسًا: أساليب الأسفار الخمسة مختلفة لبعد أزمان كتابتها حيث ألف سفرَا التكوين والخروج في القرن التاسع ق.م، وألف سفر التثنية حوالي القرن السابع ق.م، وألف سفرَا العدد واللاويين في القرنين الرابع والخامس ق.م، أي بعد إغارة (**بختنصر**) ملك بابل عليهم وسبيهم في بابل(1).

لهذه الأدلة أقول: خالف مفهوم الوحي عند اليهود المعنى اللغوي للوحي، وبناء عليه فقد أخطأ العالم البريطاني آدم كلارك (١٧٦٠ – ١٨٣٢)، حين عرّف كتاب اليهود المقدس بقوله: (**قانون اليهود نوعان: مكتوب هو التوراة، وغير مكتوب هو الروايات اللسانية التي وصلت إليهم بطريق المشايخ**)(2)، وبهذا المعنى استطاع اللاهوتيون تقبُّل نصوص الكتاب المقدس على عِلَّاتها لكونها مجرد سجل يدعى فيه الوحي والإلهام، فقد أخطأ كلارك وكل من يدعى وحي كتاب اليهود، لأنه مكتوب بيد الكهنة وليس بيد موسى عليه السلام.

وثمة إشكاليات: هي أن الكتاب المقدس عند اليهود هل هو أسفار موسى الخمسة أو يضم إليها (**الأسفار التاريخية والأسفار الشعرية أو الأناشيد وأسفار الأنبياء**)؟ تجيب الطائفة الربانية بصفتها تمثل جمهور اليهود بالاعتراف بتلك الأسفار التاريخية والشعرية وأسفار الأنبياء، فنقول: فكيف وقد أنكرت الصدوقية والسامرية والقرائية والحسدية الأسفار التاريخية والشعرية وأسفار الأنبياء؟ فأيكم أولى بالحق وكلكم يدعي أنه أحق بموسى من غيره؟ وكيف تختلفون على كلام ربكم؟

فإن سلمنا جدلا للربانية وحي (**الأسفار التاريخية والشعرية وأسفار الأنبياء**)، لكن ينقضه أنه مع التسليم بالقدر المشترك بين جميع فِرق اليهود الدينية، وهو (**أسفار موسى الخمسة**)، فهل كتبت بوحي الله تعالى لموسى في حياته؟ الجواب أن تلك الأسفار ضاعت بسبب تعرض اليهود للسبي البابلي(3)، ثم كتبت بلسان الكهنة، ففي قاموس الكتاب المقدس: (**أول مرة طبع فيها العهد القديم بالعبرانية كانت سنة ١٤٨٨م في سونشيومن في دوقية ميلانو ثم طبع ثانية عام ١٤٩٤ م في بريسشيا**) (4)، فنقول: إذا ضاعت أسفار موسى ثم كتبها الكهنة، فكيف تنسبونها لموسى؟ وكيف تدَّعون قداستها مع ضياع أصلها؟! وأين نصها الأصلي مع أن أسفار موسى لم يطبع باللغة العبرية إلا في القرن الـ١٥ الميلادي، كل هذا يدل على ذهاب نسخة التوراة الموحى بها لموسى، وذهاب أصل اللغة التي نزلت بها، وتدخل يد الكهنة في إعادة كتابتها، فهذا ما انتهى إليه العقلاء من نتيجة في حكم على الكتاب المقدس عند اليهود.

المطلب الثالث: مفهوم وحي كتاب النصارى المقدس

---

(١) انظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة، (ص٨– ١٧)، مرجع سابق، وانظر د. عبدالوهاب المسيري، اليهود واليهودية، (٥/ ١٥٠)، ط دار الشروق، سنة ٢٠٠٥، وانظر د. إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، (ص٩، ص٤٦)، ط مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٨، وانظر د. أحمد الحوفي، حجية التوراة، (ص٦– ٧)، ط مؤسسة الخليج العربي، سنة ١٩٨٩.

(٢) د. أحمد الحوفي، حجية التوراة، (ص٦)، ط مؤسسة الخليج العربي، سنة ١٩٨٩، وانظر د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (ص٨)، المرجع السابق.

(٣) السبي البابلي: خروج اليهود على يد بختنصّر الإمبراطور الكلداني، فيما عرف بالسبي البابلي، وتشتمل الأسفار على الأنبياء (يوشع بن نون، والقضاة، وصموئيل، والملوك الأول، والملوك الثاني، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الياء – كلمة (اليهودية).

(٤) قاموس الكتاب المقدس، وضع نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، (ص٥٢١)، مرجع سابق، وانظرد. نعمان عبدالرزاق السامرائي، الماسونية واليهود والتوراة، (ص٩٥– ٩٦)، ط دار الحكمة، بدون تاريخ، وانظر سامي عبدالمطلب الباز، الأسطورة في سفر التكوين وأثرها على عقائد اليهود وأخلاقهم وربطها بواقعهم المعاصر، (ص٣٣)، رسالة التخصص الماجستير مقدمة في كلية الدعوة – قسم الأديان– أجيزت سنة ٢٠٠٥، وانظر الخوري بولس، سفر التكوين– تاريخ الكون والإنسان، (ص١٣)، ط منشورات المكتبة البولسية بيروت لبنان، ط سنة ١٩٨٨، وانظر د. إبراهيم عوض، دراسات دينية مترجمة من الإنجليزية حول القرآن الكريم والكتاب المقدس وبعض الأديان القديمة ، (ص١١)، ط مكتبة الزهراء سنة ٢٠٠٠، وانظر كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، (ص ٨٥)، ط دار الحصار للنشر، دمشق سوريا، سنة ١٩٩٩.

يتكون الكتاب المقدس النصراني من العهد (القديم والجديد)، وقد سبق الحديث عن (العهد القديم) عند اليهود، وهو مقدس عند النصارى، وبالتالي يتوجب توجيه ذات الأدلة والإشكاليات السابقة للنصارى لسوء رؤيتهم لكتاب اليهود المقدس، فيخاطبوا بمثل ما قيل لليهود، لأن علماء اللاهوت من النصارى يدَّعون وحي نص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بحالته الحالية، ثم **نتسائل: (ما مفهوم الوحي عند رجال الدين النصراني؟ وهل ثبت مفهوم الوحي الحقيقي عند النصارى؟** الجواب أن وحي الكتاب المقدس قد حُرِّف والأدلة على ذلك متوفرة، ومنها ما يلي:

أولا: إقرار رجال اللاهوت وفق ما دونوه في قاموس الكتاب المقدس في تعريف الوحي: (**أوحى الله بكلمته إلى أنبياء ورسل نطقوا بها حسب اصطلاح اللغات البشرية، فكان الكاتب الملهم إما أن يكتب بنفسه ما يوحى به إليه وإما أن يمليه على كاتب يكتبه له، إلا أنه لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية التي كتبها هؤلاء الملهمون أو كتبتهم وكل ما وصل إلينا هو نسخ مأخوذة عن ذلك الأصل، ومع أن النسَّاخ قد اعتنوا بهذه النسخ اعتناء عظيما فقد كان لابد من تسرب بعض السهوات الإملائية الطفيفة جدًا إليها، ولكن هذه لا تغير مطلقا في الوحي الإلهي الموجود في هذه النسخ**)[1]، لكن هذا المفهوم للوحي به تناقضات مع التوثيق الصحيح عن البشر فضلًا عن التوثيق الواجب لوحي رب البشر، ومن هذه التناقضات:

التناقض الأول: في قوله (**حسب اصطلاح اللغات البشرية**) فما هي (**اللغات البشرية**) والإنجيل نزل بلغة عيسى؟ فإن تعدد لغات الإنجيل دليل على ذهاب اللغة الأصلية له، وهذا ما ندعيه لديكم.

التناقض الثاني في قوله: (**الكاتب الملهم إما أن يكتب بنفسه ما يوحى به إليه وإما أن يمليه على كاتب يكتبه له**) هذا (**الكاتب الملهم**) هل هو نبي أو بشر؟ فإن قلتم: هو نبي، قلنا: ليس بالطبع هو عيسى لأنكم تنسبون كتابة الأناجيل لغيره، وإن قلتم غير عيسى، قلنا هذا ما ندعيه فيكم من نسبة وحي الإنجيل لغير عيسى.

التناقض الثالث في قوله: (**تسرب بعض السهوات الإملائية**) كيف يكون وحي الله به (**سهوات إملائية**) مع ادعاؤكم له وحي الله به على حالته؟ وهل يليق وصف كتاب الله تعالى بسهو؟**!**

التناقض الرابع في قوله: (**السهوات طفيفة جدًا لا تغير مطلقا في الوحي الإلهي**) كيف تكون سهوات طفيفة وهي تتعلق بوحي الله؟ فهذا يفيد جواز الافتراء على الله، ومغالطة مع النفس، وجناية على الأتباع، ثم ما ضمانة انتفاء تغيير (**السهوات الإملائية**) في معاني (**الوحي الإلهي**) ومعلوم يقينا أن المعنى فرع اللفظ –مكتوبًا أو مقروءًا- فإن فسد اللفظ بالسهوات الإملائية تغير بالتالي المعنى، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم..

نكتفي بتلك التناقضات السابقة لدلالتها على مفهوم الوحي عند النصارى، لأنها تمثل إقرارًا بتدخل يد البشر في كتابة الكتاب المقدس لدى النصارى، ولأن الأصل ضياع النص الأصلي للإنجيل، وهذا ما أقررتم به فقلتم: (**لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية**)، كما سبق وهذا ما ندعيه في وحي الكتاب المقدس عندكم.

ثانيا: إقرار العقلاء بنفي وحي أناجيل العهد الجديد مثل الفيلسوف الروسي لاون تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠م)[2]، قال: (**إني لا أنظر إلى الأناجيل ككتب مقدسة منزلة من السماء بواسطة وحي روح**

(١) قاموس الكتاب المقدس، وضع نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، تحرير: د. بطرس عبدالملك، د. جون ألكسندر طمسن، أ. إبراهيم مطر، (ص٥٢٠)، ط شركة كومبو برايل، بدون تاريخ.

(٢) لاون تولستوي: (١٨٢٨– ١٩١٠)، كاتب روسي ومفكرًا، ثقف نفسه وشرع في الكتابة، وتعمق تولستوي في القراءات الدينية، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، ودعا للسلام وعدم الاستغلال وعارض القوة والعنف، وأُعجب بآرائه الكثير فانتشرت بسرعة، فكفرته الكنيسة، وعاش حياة المزارعين البسطاء، ومن كتبه (خلاصة الأناجيل) (ما الفن) أوضح فيه الجانب الأخلاقي للفن، لتحسين أوضاع الناس، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف التاء – كلمة (تولستوي).

القدس)[1]، فبعد قراءة تولستوي العهد الجديد لم ير فيه قناعة بوحيه، فلم يرَ فيها الانسجام المطلوب في الوحي الحقيق النسبة إلى الله تعالى ليكون كلام الله رب العالمين.

ثالثًا: اشترط البعض لفهم نص الكتاب المقدس معرفة حضارة وزمان ومكان كتابته، أوضح ذلك دكتور صموئيل رزفي فقال: (**من المهم البحث عن بعض الأمور لفهم النصوص الكتابية: ١- النص نفسه، وهو لغة الكتابة، ٢- حضارة النص، بدونه لم نعرف لماذا كتب النص وكيف كانت الحضارة التي كتب فيها النص؟ ولماذا كتب الكاتب بهذه الطريقة؟**)[2]، وتساؤلات رزفي تدل على التأثير البشري في نص الكتاب المقدس، لمعرفة عادات كاتبه وتقاليده وبيئته، وتدل على أثر حضارة البشر في نص العهد الجديد، مع أن الأصل أن الكتاب السماوي يغير في حضارة البشر ويرتقي بوعيهم، لا أن يتأثر الكتاب المقدس بالحضارة.

رابعًا: الإقرار بالأثر البشري في الكتاب المقدس قال الدكتور موريس بوكاي: (**كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثًا شعبيًّا لا سند له إلا الذاكرة وهي العامل الوحيد المعتمد عليه في نقل الأفكار**)[3]، فأدخلوا فيه ما ليس منه، وطوّروا ألفاظه، بناء على اتفاق المجامع الكنسية والكهنة وفق المصلحة والعادات، لذلك وجِّه النقد اللاذع للكتاب المقدس – في العصور الوسطى- لتناقضاته ومخالفاته.

وبعد هذه الأدلة أتسائل على سبيل العموم لكل مكونات العهد الجديد بوضعه الحالي:

التساؤل الأول: (**هل العهد الجديد كله بوحي الله لعيسى؟**) الجواب بالقطع لا؛ لأن هناك رسائل معتبرة منه، هي منسوبة لغير عيسى، نقول لهم: إن تلك النسبة لغير عيسى تناقض قول المسيح نفسه: (**لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل**)[4]، فهذه الرسائل دليل على أن المسيح لم يكمّل، بل أكمل غيره، وإن قالوا: ألقاها عيسى للكتبة، قلنا: يكذِّبكم رفع المسيح دون بلاغ غير الإنجيل لأحد، وإن قالوا: كتبه الكتبة الأنبياء بوحي يوحى إليهم، قلنا: هاتوا برهانكم على نبوتهم، فإن هذا ما ندَّعيه فيكم أنّكم أثبتم الوحي لغير الأنبياء من الكتبة والكهنة.

التساؤل الثاني: هل أوحى الله للمسيح إنجيلًا واحدًا أو أربعة أناجيل؟ الجواب بالقطع له إنجيل واحد، فنقول: فكيف والعهد الجديد مشتمل على أربعة أناجيل (**متى ومرقس ولوقا ويوحنا**)، فأيها صحيح النسبة للمسيح؟ فإن عينوا واحدًا منها للمسيح قلنا: لا يوجد واحدًا من الأربعة سنده متصل بالمسيح فهي منقطعة السند بالمسيح فكيف تنسب إليه؟ وكيف تتدعون وحي كاتبها ولم تعرف نبوة لكاتب واحد منها، وبالتالي تكون صحة دعوى وحي الأناجيل بوضعها اليوم أمر فيه نظر.

لكل ذلك أقول: لقد خالف مفهوم الوحي عند النصارى المعنى اللغوي للوحي، وبناء عليه فقد أخطأ من عرف الكتاب المقدس في النصرانية بأنه (**مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفداؤه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموع النبوات عما سيكون حتى المنتهى، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع بني البشر في كل الأزمنة**)[5]، لما سبق من إقرار بالتحريف وتناقضات دالة على فساد مفهوم وحيه.

المطلب الرابع: مفهوم الوحي في الإسلام

ما مفهوم الوحي عند علماء الإسلام؟ و**هل ثبت مفهوم الوحي الحقيقي عند المسلمين؟** الجواب نعم ثبت وحي القرآن، والأدلة على ذلك نقلية وعقلية منها ما يلي:

---

(١) لاون تولستوي، إنجيل تولستوي وديانته – خلاصة الأناجيل، ترجمة سليم قبعين، (ص٥٩)، ط دار البشير، سنة ٢٠٠٧.

(٢) انظر د. صموئيل رزفي، تجديد الفكر الديني، (ص١٦٥– ١٦٦)، مرجع سابق.

(٣) د. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، (ص٢٠)، ط الفتح للإعلام العربي، بدون.

(٤) إنجيل متى، [الإصحاح٥ / ١٧].

(٥) قاموس الكتاب المقدس، وضع نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، (ص٥٢٠)، ط شركة كومبو برايل، بدون تاريخ.

أولا: الأدلـة النقليـة علـى صحة مفهوم وحـي القرآن: منهـا إقرار القرآن نفسه بثبات مفهوم وحيه للنبي، فقال: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[**النجم: ٣- ٤**]، فأخبر بصحة بلاغ النبي عن ربه.

ومنها ثبات وحي القرآن الكريم باللفظ والمعنى، لتوقف الإعجاز عليهما، كما وصف القرآن بأنه بلسان عربي، فقال: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[**الشعراء: ١٩٢- ١٩٥**]، ولا يوصف بذلك إلا اللفظ، إذن فمفهوم الوحي ثابت للقرآن في جانبيه اللفظ والمعنى، فأنزل لفظه ومعناه على قلب النبي الخاتم – صلى الله عليه وسلم.

ومنها توكل الله تعالى بحفظ وحي القرآن للنبي، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[**الحجر: ٩**]، وهذا ما لم يثبت للكتب السماوية الأخرى في اليهودية والنصرانية.

ثانيا: الأدلة العقلية على صحة مفهوم وحي القرآن: ومنها حافظ المسلمون على وحي القرآن لفظا ومعنى، وتحملوا المسئولية الحفاظ على وحي القرآن حفظًا وأداءًا للأمانة بالأسانيد المتصلة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وقام على ذلك تعريف علماء الإسلام للوحي مناسبًا لدلالة الوحي اللغوية فعرفوه بأنه: (**الإعلام السريع الخفي الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره**)، وقيل: (**إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه بواسطة أو غير واسطة**)، وقيل: (**أن يُعلم الله تعالى مَن اصطفاه مِن عباده كل ما أراد اطْلَاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرِّيَّة خفيَّة غير معتادة للبشر**)[(١)]، هذه معاني الوحي في اصطلاح العلماء.

ومن الأدلة العقلية أن وحي القرآن صحيح النسبة إلى الله تعالى، لأنه لو لم يكن كذلك لوقع تناقض فيه، ولو وقع شيء من التناقض لتحدث به المخالفون ولكنه لم يقع ولم يتحدث أحد بتناقض حقيقي في القرآن الكريم، فلم يتدخل فيه النبي ولا أحد من بعده بتقديم أو تأخير أو زيادة أو نقص أو إثبات أو حذف، وهذا يدل على سلامة وحي القرآن من التغيير والتبديل.

لكل ذلك أقول: لقد اتفق مفهوم الوحي عند المسلمين مع المعنى اللغوي للوحي، وبناء عليه فقد أدرك المستشرق البريطاني مونتجمري وات (١٩٠٩- ٢٠٠٦)[(٢)] ذلك الفرق بين وحي القرآن والكتاب المقدس، فقال: (**إن مسألة الوحي الإسلامي لابد من تناولها بجدية؛ فالإسلام منافس للمسيحية في قيادة العالم اليوم**)[(٣)]، وهذا يدل على معرفة الفرق الشاسع لمفهوم الوحي وما يترتب عليه من إدراك سر قوة وعظمة الإسلام في صحة وحي القرآن ونسبته إلى الله تعالى، فضلا عن مصداقية ذلك المستشرق مع نفسه.

---

(١) انظر محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (ص٢٩– ٣٠)، ط القاهرة، سنة ٢٠١٠، وانظر الزرقاني، مناهل العرفان، (١/ ٦٣)، مرجع سابق، وانظر محمد عبده، رسالة التوحيد، ص٨٥، ط مكتبة صبيح ١٩٦٥، وانظر د. طه الدسوقي حبيش، النبوة والتنبؤ، (ص٩٣– ٩٧)، ط مطبعة الفجر الجديد، سنة ١٩٩٠.

(٢) وليام مونتجمري وات: (١٩٠٩– ٢٠٠٦) مستشرق بريطاني عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة أدنبرة بأسكتلندا، وأشهر كتبه (محمد في مكة) ١٩٥٣، وكتاب (محمد في المدينة) ١٩٥٦، وكتاب (القضاء والقدر)، وغيرها.

(٣) مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة د. عبدالرحمن الشيخ، (ص٣٤)، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠٠١.

المطلب الخامس: **مقارنة مفهوم الوحي في الكتب السماوية**

بعدما سبق من بيان مفهوم وحي الكتاب المقدس في (اليهودية والنصرانية) فمن الضرورة مقارنة مفهوم الوحي في الكتب السماوية، بوحي القرآن الكريم المحفوظ والمدون، تبين لكل عاقل ما يلي:

الملاحظة الأولى: اختلاط وتحريف وحي كتاب اليهود المقدس، فلم يحافظوا على لفظه ومعانيه، حيث قام رجال الدين اليهودي بتطور مفهوم الوحي وتوسعوا في إثبات الوحي لغير الأنبياء، من هنا يمكن القول:

إن مفهوم الوحي لدى اليهود يعتريه خللٌ كبير؛ لأن الوحي لا يقتصر داخل النسق اليهودي على نبي واحد معلوم النبوة بيقين، والوحي بحسب زعم وتصور حاخامات اليهود أحد هبَات الإله لشعب إسرائيل، وأن الله أرسل وسيرسل أنبياء يكمِّلون للشعب دينه لأنهم -بحسب زعمهم- شعب مختار، فاستباح الكهنة التصرف في الوحي طريقًا للهداية، ووسيلة لحل مشكلة الحلول الإلهي حين تتركز في طبقة كهنوتية، إذن انقطعت صلة الكتاب المقدس عند اليهود بالله تعالى، لتفريطهم في الحفاظ على وحي توراة موسى عليه السلام.

الملاحظة الثانية: اختلاط وتحريف وحي كتاب النصارى المقدس، فضاعت النسخة الأصلية، حيث قام رجال الدين بلملمة سيرة المسيح في الأناجيل وتوسَّعوا في إثبات الوحي لكاتبيها، كما أن نقل الأناجيل منقطع الصلة بالمسيح مختلط اللفظ والمعنى، كما أقروا بجواز السهوات الإملائية في الكتاب المقدس، من هنا يمكن القول:

انقطاع صلة الكتاب المقدس عند النصارى بالله تعالى، لأن مفهوم الوحي لدى النصارى يعتريه خللٌ؛ لأنه لا يقتصر داخل النسق النصراني على نبي واحد معلوم النبوة بيقين، والوحي بحسب زعم وتصور كهنة النصارى أحد هبَات الإله للكتبة والكهنة، فاستباحوا ادعاء الوحي وسيلة للهداية، وهذا يدل على تفريطهم في الحفاظ على وحي إنجيل عيسى؛ لذلك ظهرت مخالفات كتاب النصارى المقدس ومناقضاته لحقائق العلم.

الملاحظة الثالثة: ثبات واستقرار وحي القرآن لفظًا ومعنى، إذ تولى الله ﷻ حفظه، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر: ٩]، فدعا ذلك الأمر إلى إظهار كمال القرآن بحفظ وحيه، بالمقارنة بينه وبين كتب السماوية السابقة، والتي يدعي لها الوحي بمفاهيم أخرى، فضلا عن إسناد حفظها إلى البشر على ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾[المائدة: ٤٤]، من هنا يمكن القول:

إن مفهوم الوحي لدى المسلمين لم يصبه خلل أو نقص، لأن الوحي في الإسلام لم يتدخل بشر فيه أيا كان؛ واقتصر على نبي واحد معلوم النبوة بيقين، هو النبي الخاتم سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- ووحي القرآن على سبيل اليقين أحد هبَات الله تعالى لذلك النبي وحده فلم ينسب إلى غيره، فكان شرفه ومعجزته الخالدة، ثم انتقل القرآن بلفظه ومعناه إلى الصحابة ثم التابعين ثم تابعيهم نقلا شفاهيًا متواترًا جيلًا بعد جيل حتى بلغ الأمة في عصر المكتشفات العلمية؛ لذلك ظهرت موافقات القرآن للحقائق العلمية.

الملاحظة الرابعة: الإشارة إلى شهادة القرآن الصادقة التي بينت تحريف الكتب السماوية السابقة عليه فقال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[البقرة: ٧٩]، وقوله: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾[المائدة: ١٣]، وهذا ما يضطر رجال الدين والكهنة للإقرار به أمام (الإشكاليات والتساؤلات) التي تظل حائرة بلا إجابة، وأمام أدلة التحريف، مما يدل على هيمنة القرآن وصدق وحيه حينما أخبر بتحريف الكتب السماوية السابقة عليه؛ فليست صحيحة النسبة إلى الله تعالى.

الملاحظة الأخيرة: أن النتيجة أن القرآن هو أثبت الكتب السماوية وحيًا بنقله بـالتواتر (**لفظًا ومعنـى**)، وهو الأوثق صلة بالله تعالى، والأوصل سندًا للنبـي صـاحب وحـي الرسـالة الخاتمـة، بـلا خلـل أوخلـط أو لـبس أو غمـوض، ممـا أعطـى القرآن مصـداقية لقضـاياه الـواردة فيـه وجديّـة فـي العـرض، وصـحة فـي اعتماده مرجعية للقضية الدينية؛ لتحقيق توثيق النص وإحكام المبادئ العقدية ويقين نسبته إلى الله تعـالى، وتوثيق صلته بصاحب الرسالة –صلى الله عليه وسلم- وبالتالي يترتـب عليـه الحكم بصـدق خبـره وقضـاياه الواردة فيه بكل محتوياتها، وصـحة الاعتمـاد عليـه، وسـلامة رؤيتـه واتفاقـه مـع الحقـائق العلميـة والسـنن الكونية.

وبعد بيان مفهوم وحي الكتب السماوية سواء المختلطة المحرفة من الكتب السماوية السـابقة أو الثابـت منها وحيه (لفظا ومعنى) وهو القرآن الكريم منهـا، فمـا هـي الآثـار المترتبـة علـى هذا المفهوم؟ هذا مـا سـتقوم الدراسـة بالبحـث عـن إجابتـه فيمـا يلـي، ليقـدم للبـاحثين عـن الحقيقـة مـن العلمـاء فـي مختلـف اختصاصاتهم.

***

المبحث الثاني

آثار مفهوم وحي الكتب السماوية

المطلب الأول: آثار مفهوم وحي التوراة على البيئة العلمية

تبين مما سبق أنه طرأ على الكتاب المقدس عند اليهود تغيير مفهوم الوحي، وبناء عليه ظهرت آثار سلبية خطيرة على البيئة العامة اليهود (دينية واجتماعية وسياسية) والذي يعنينا هنا الآثار الدينية.

أولا: إلحاد عدد كبير من اليهود فيشير بعض الباحثين إلى أن (**اليهود اعتبروا معارف الكتاب المقدس لا يمكن تصديقها، واعتبروا الخبرة في العلوم الحديثة تجعل مكانتهم أرفع من التفقه في القوانين المقدسة، فاعتادوا التفكير العقلاني المستقل، حتى أصبح بعضُهم ملحدين، وافتخر غالبية اليهود بتحقيق نقلة من التعايش مع المجتمع لكنها كانت على حساب الممارسة الطقسية**)[1]، فتنكر اليهود لكتابهم المقدس كأثر لتغيير مفهوم الوحي.

ثانيا: التنصير، فتفيد بعض المراجع أن (**المؤسسة الحاخامية كانت سعيدة بملاحقة محاكم التفتيش[2] للنصارى الجدد واضطهادها لهم، على أساس أنهم تركوا دينهم عن قصد، وبصفة عامة كان اليهود يحتقرون المسيحيين الجدد (المارانو)[3] الذين كان بدورهم لا يكنون أي احترام لليهود**)[4]، وهذا يبين أن تغيير الدين بسبب تعرض اليهود في أسبانيا والبرتغال لعصف محاكم التفتيش كانت سببًا لعدم اهتمامهم بكتابهم المقدس.

وعلى كلا الاحتمالين فإن اليهود كانوا بين ملحد تارك لليهودية ومتنصر مرتد، وكلاهما آثار لتغيير وحي كتاب اليهود المقدس، ومن المعلوم أن تغيير مفهوم وحي الكتاب المقدس يؤدي إلى افتراء الكذب على الله تعالى بادعاء نسبة كلام البشر إلى مالك القُوى والقُدَر، وإلى اختلاط كلام الله بكلام البشر، وإلى الفساد العقدي لمعتنقي وحي هذه الكتب السماوية، وهذا كله يؤدي إلى انعدام روح التوفيق بين الدين والعلم.

لذا فمن الممكن القول: إن كل ما ورد في الكتاب المقدس عند اليهود، فيما يتعلق بالكون مجرد إخبار عن بعض الظواهر الكونية التي يراها الإنسان في حياته اليومية، مجردة من التأثير العلمي المحكم، عاجزة عن خلق (بيئة علمية رشيدة)، مما قطع الارتباط بينها وبين إعطاء (المنجز العلمي) فيما توصَّل إليه من حقائق علمية معتبرة ومسلَّمة لدى علماء الكون.

المطلب الثاني: آثار مفهوم وحي الإنجيل على البيئة العلمية

تبين لكل عاقل تغيير مفهوم وحي كتاب النصارى المقدس، مع ثبوته باعتراف رجال الدين وتناقضهم، ومع هذا فقد أصرَّ النصارى -وما زالوا- على الاحتفاظ به، فظهرت آثار سلبية عديدة، من أوضحها ما يلي:

١- الانقسام والتناحر:

---

(١) انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، ترجمة د. فاطمة نصر، (ص٢٩٣- ٢٩٥)، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠١٠، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا عند نقد الكتاب المقدس من بعض اليهود العلمانيين والملحدين.

(٢) محاكم التفتيش: هيئات أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية للقبض على المهرطقين وهم أشخاص معارضون لتعاليم الكنيسة، ومحاكمتهم، أقيمت محاكم التفتيش بين القرن الثاني عشر والقرن والسادس عشر، في كثير من أنحاء أوروبا، (في فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وأسبانيا)، وأشهرها التي كانت بأسبانيا، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الميم، مصطلح (محاكم التفتيش).

(٣) د. عبدالوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، (٢/ ١٩٤)، ط دار الشروق، بدون.

(٤) اليهود المارانو: مواطنون يظهرون المسيحية ويبطنون اليهودية، وظهروا في أسبانيا وانتقلوا للبرتغال من عصف محاكم التفتيش، انظر د. عبدالوهاب المسيري، اليهود واليهودية، (٢/ ١٩٤)، المرجع السابق.

الانقسام الطائفي بين الكاثوليك والبروتستانت لم يقف عند حد تشعب الاختلاف حول الحق في تفسير الكتاب المقدس وطلب حرية تفسيره، والدعوة لإصلاح العقيدة، بل (**أدى ذلك إلى نشوب (حرب الثلاثين)**[١]**، سنة (١٦١٨ م)، وهي حرب دامية بين الكاثوليك وبين البروتستانت، والتي أدت إلى إبادة نسبة غير قليلة من السكان قاربت الثلث (٣٥ %)**)[٢]، وهذا يدل على أن موقف الكنيسة المتعنت المعادي للعقل المتطلع للتأمل في الكون، أدى لصدمة العلماء بصفة عامة وما تطلعوا إليه من خلق مساحة من النظر العلمي الحر، مما أضر بالكنيسة والبشرية كلها، لما سنجده من المردود العكسي لدى العلماء الناشيء عن القمع الكنسي للعلم.

٢- **حركة الإصلاح الكنسي**:

كانت حركة البروتستانت وقيام ثورة إصلاح بقيادة مارتن لوثر(١٤٨٣- ١٥٤٦م)[٣]، على الكنيسة الكاثوليكية من أقوى أسباب الانقسام الجديد الطارئ على الكنيسة، لذلك وجد الكاثوليك ضرورة إعادة صياغة العقيدة، فجاءت مبادرة الكنيسة الكاثوليكية ساعية إلى عمل الإصلاح، وقد سعت الكنيسة الكاثوليكية لعمل إصلاح شامل، فهل أفلح هذا المجمع في خلق إصلاح حقيقي؟ أو أنه مكّن من سلطة الكهنة وحقهم في فهم وتفسير الإنجيل، مما أدى لاحتكار الفكر وقمع العلماء ومنعهم من التفكير.

قالت المستشرقة كارين أرمسترونج: (**مجمع ترنت**[٤] (١٥٤٥ – ١٥٦٣م)، **جعل الكنيسة أكثر مركزية على غرار الحكم الملكي المطلق، دعَّم سلطة البابا وترتيب عمل الكهنوت، وارتفاع مستوى تعليم رجال الدين، وعقلنة ممارسات الطقوس، والتخلص من رجال الدين الفاسدين.. وخضعت الكنيسة الكاثوليكية الإصلاحية وطوائف البروتستانت الجديدة جميعها لثورة على التقاليد والمعتقدات القديمة**)[٥]، فمع قيام فكرة المجمع على الإصلاح، لكنه لم يفلح في تحقيق الإصلاح المنشود، بل حشد من سلطة رجال الكنيسة الكاثوليكية.

٣- **قهر البيئة العلمية**:

إن إصرار الكنيسة على مفهوم وحي الكتاب المقدس أدى إلى خلق البيئة العلمية المتناحرة مع الكنيسة مع حالة من استسلام عامة عاشتها العصور الوسطى، لكن خاصة العلماء عاشوا حالة من اليقظة العقلية تتطلع للبحث والنظر مع شيء من التحفظ، لزيادة ضغط الكنيسة، مما أفرز حالة من العداء الخفي من قساوسة الكاثوليك للعلم، هذا العداء الخفي أفرز في البيئة النصرانية آثارا سلبية على المجتمع الأوربي في القرون الوسطى، من أخطرها رهبة العلماء من مخالفة رجال الدين، مما اضطر العلماء للتوفيق بين الدين والعلم، فلم يكن في وسعهم إلا العمل على الجمع والتوفيق، لإيمانهم بالكتاب المقدس – طوعا أو كرها- ومن هؤلاء العلماء:

---

(١) حرب الثلاثين: حرب دامية بين كاثوليك النمسا وبين بروتستانت السويد، أدت لإبادة نسبة كبيرة من السكان، انظر كارين أرمسترونج مسعى البشرية الأزلي، ترجمة د. فاطمة نصر، (ص٣٠٠)، مرجع سابق.

(٢) انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، ترجمة د. فاطمة نصر، (ص٣٠٠)، مرجع سابق.

(٣) مارتن لوثر: (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) قس ألماني وأستاذ اللاهوت، يعرف به عصر الإصلاح الأوربي، اعترض على صكوك الغفران، ونشر رسالة تتعلق بلاهوت التحرير وسلطة البابا للحل من العقاب الزمني للخطيئة سنة ١٥١٧؛ وطلب البابا ليون العاشر سنة (١٥٢٠) والإمبراطور شارل الخامس التراجع عنها فرفض مما أدى لنفيه وحرمانه كنسيا وإدانة كتاباته بوصفها مهرطقة وخارجة على قوانين الإمبراطوريّة، انظر ماهر يونان عبدالله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، (ص١٥٧ – ١٦٠)، مرجع سابق.

(٤) مجمع ترنت: مدينة بإيطاليا، حيث عقدت الكنيسة الكاثوليكية مجموعة من المؤتمرات في ترنت بين (١٥٤٥– ١٥٦٣)، وقد حاول المجمع تعريف المعتقدات الكاثوليكية، وإبطال تعليمات البروتستانت، كما قام بإصلاحات في إجراءات الكنيسة الكاثوليكية خلال القرنين الـ (١٦، ١٧) وقد أثَّرت المبادئ التي أصدرها المجمع تأثيرًا كبيرًا في الكنيسة منذ ذلك الحين، انظر القس صموئيل مشرقي، المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد، (ص٨)، ط الكنيسة المركزية، سنة ١٩٧٩، وانظر الموسوعة العربية العالمية، حرف التاء، كلمة (ترنت).

(٥) انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، ترجمة د. فاطمة نصر، (ص٢٧٢– ٢٧٤)، مرجع سابق.

أولا محاولة الفلكي البولندي (**كوبر نيكوس**) (١٤٧٣- ١٥٤٣م)[1] في العصور الوسطى الربط بين العلم والدين، مع أنه لم يكن متمردا على الكنيسة، حيث (**جمع بين أطروحته العلمية وبين أيام الأعياد الدينية، لكن دون جدوى أمام تعنت رجال كنيسة، إذ اعتبروه مخالفا للنظام البطلمي[2] الذي تعودت عليه الكنيسة، وأيَّدته فقرات من الكتاب المقدس معتبرة الأرض مركزًا للكون، بينما رأى نيكوس أن الأرض جزء من الكون، مما سبَّب قلقًا لكوبر، ولقيت نظريته نقدًا قاسيًا بين الأوساط الكنسية، وفشلت محاولة الجمع الكوبرية بين الدين والعلم في العصور الوسطى، ورؤية أن الكون انعكاس مبهم للسر الإلهي فلم يكن ليروق للكنيسة ومعتقدات رجال كهنوتها، انتصار العلم والعلماء بتغيير مفاهيم الكتاب المقدس، حتى مع من أظهر محاولة الجمع بين العلم والدين، فقد تم وضع كتاب كوبر نيكوس سنة (١٦١٦م) ضمن الكتابات المحرمة للفاتيكان، أي بعد وفاته ووضع نظريته بحوالي (تسعين عامًا)[3]**، وفشلت محاولة كوبر للجمع بين الدين والعلم.

ثانيا محاولة الفلكي الإيطالي جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م)[4]، من البحث لإثبات نظرية كوبر، فلم يَرُق له -إثر غرور العلم- اعتراض الكنيسة على النظرية الكوبرية، (**قام جاليليو بمحاولة إثبات صحة نظرية كوبر، وأعلن أن ما عجز كوبر عن إثباته يمكنه هو القيام بإثباته، فكانت رؤية جاليليو أن الكون كتاب مفتوح لا يمكننا فهمه إن لم نعرف لغتَه المكتوب بها، وهي لغة الرياضيَّات والدوائر والمثلثات وأشكال أخرى هندسية، ولا يستطيع الإنسان فهم الطبيعة والكون بدونها، فيضل الإنسان في ظلام، ولم يصطدم بالكنيسة حيث رأى أن بؤرة البحث العلمي هي العالم المادي وبؤرة اللاهوت هو الله، ويجب أن يظل المبحثان منفصلين، فالله خالِقُ الطبيعة ومنزِّلُ الإنجيل، ولا يمكن للحقيقتين أن تتناقضا، وعزم جاليليو على التوفيق بين اكتشافاته وبين نصوص الكتاب المقدس)[5]**، ومع خطورة تلك الرؤية ومخالفتها للحق والصواب[6]، ومع أن تلك الرؤية قامت للجمع بين العلم وبين نصوص الكتاب المقدس الكنسي لكنها لم ترض الكنيسة

قد كانت البيئة اللاهوتية طاغية على الحياة العلمية بصورة أقل ما توصف به بـ(**القمع الفكري**)، فقد (**تمت محاكمة جاليلو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م)، سنة (١٦٣٣ م)، أمام الكنيسة، وصدر حكم (محكمة كهنوتية)[7] بإدانته بالعصيان، وأجبر على العدول عما كتبه وهو جاث على ركبتيه)[1]**، وأقام رجال الدين دعاوى الحرمان وهي قرارات بصورة تعسفية ظالمة، تدل على الإصرار على معاقبة المخالفين.

---

(١) كوبر نيكوس: كاهن من أصل بولندي بكتدرائية فراونبورج، في بروسيا، اعتبر الشمس مركز النظام الكوني، درس الرياضيات والبصريات بكراكاو، ودرس الكهنوت في بولونيا، وكان يلقي محاضرات في الفلك بروما، وعمل كإداري بالكنيسة، ولم يستطع إثبات نظريته، انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٢٧٦)، مرجع سابق.

(٢) النظام البطلمي: ينسب إلى بطليموس (٩٠- ١٦٨)، وهو عالم فلك مصري رأى أن الأرض ثابتة في مركز الكون يغلفها ثمانية أغلفة كروية تتكون من مادة غير مرئية تسمى الأثير، وتلك الكرات هي الكواكب وتدور بأسلوب موحد حول الأرض، وكان النظام البطلمي أكثر دقة في زمانه مع كونه غير كفء لمحدودية التقنيات، انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٢٧٧).

(٣) انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٢٧٦- ٢٨٥)، بتصرف واختصار، مرجع سابق.

(٤) جاليليو جاليلي: (١٥٦٤- ١٦٤٢)، عالم إيطالي وفلكي وفيلسوف، ولقد سماه أينشتاين (أبو العلم الحديث)، نظرا لإنجازاته العلمية من جهة ومن جهة أخرى أنه تمسك باقتناعه العلمي ولم يحد عن هذا الاقتناع ووقف صامدا أمام الاتهامات الموجهة إليه، إلى أن وصل به الاقتناع إلى مخاطر محاكمته أمام محكمة الفاتيكان، كان ينتمي لأسرة كاثوليكية يدعمون آراء كوبر نيكوس، انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٢٨٥- ٢٨٩)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٠.

(٥) انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٢٨٥- ٢٩٢)، المرجع السابق.

(٦) لأنها أفرزت اتجاها جديدا علمانيا فصل الدين عن العلم وفصل الدين عن الدولة.

(٧) محكمة كهنوتية: هي محكمة صورية لها سمة دينية كهنوتية مكونة من قساوسة للحكم على الهراطقة، وأطلق عليها محاكم التفتيش (١٢١٧- ١٨٣٤)، وأطلق عليها بعض المؤرخين (محاكم التحقيق) وصدر منها أعمالا مروعة ارتكبت باسم الدين بوسائل بربرية وحشية وأعمال تنصير، وأصدرت أحكاما بقتل وتشريد وتنصير المسلمين، انظر محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس – العصر الرابع

٥- مستويات ظلم رجال الدين:

بلغ تعنت رجال الدين في العصور الوسطى مبلغا أدى إلى وقوع الظلم الكثير على مستويات عدة:

المستوى الأول: ظلم النفس، لأن رجال الدين اليهودي والنصراني قنعوا بما لديهم من نصوص كتابية غير موثقة، ضاع أصلها بفعل التحريف المقصود المؤسَّس على التحريف العمدي لمفهوم الوحي، وبفعل عوامل النسيان من الذاكرة، ومع هذا يقدسونها! وقد جنت الكنيسة ثمار هذا الظلم بعد ذلك.

المستوى الثاني: ظلم العلم والعلماء، حيث احتكر رجال الدين الفكر لأنفسهم فأغلقوا نوافذ العلم والمعرفة كما أقر بذلك علماء أوربا، فهذا برتراند راسل(١٨٧٢ – ١٩٧٠م)[٢]، يقول: (**إن الكنيسة اكتسبت قوة سياسية وأحدثت تحديدات أكثر دقة لمذهبها، واضطهدت مما أحدث انقسامًا عن المذهب الرسمي**)[٣]، لذا أقول: إن قيام بعض العلماء بعملية (**الجمع والتوفيق بين الدين والعلم**) إبان الثورة العلمية كان غالبًا للخوف من بطش رجال الدين بمخالفيهم، مما أدى إلى معاداة العلماء للكنيسة ورجالها.

المستوى الثالث: ظلم البشرية كلها من ناحيتين: **الأولى:** اختلاق قضية (الفصل بين الدين والعلم) مما أفرز الكثير من الآثار السلبية على البشرية، حتى أفرز قمة الغنى في قمة الفقر الخلقي. **الثانية:** حالوا دون معرفة البشرية للوحي الصحيح الذي حافظ عليه أهله.

لذا فمن الممكن القول: إن رؤية رجال الدين النصارى الجامدة على كتابهم المقدس، كانت عاصفة للرؤية العلماء معادية للبيئة العلمية، مما قطع الارتباط بينها وبين إعطاء (المنجز العلمي) يقوم على الاتصال الحقيقي بها.

وبعد هذا التصور الظالم من رجال الدين للعلم على كافة المستويات فهل وقفت الحركة العلمية؟ سنتعرف على ذلك بعد الوقوف على رؤية القرآن وموقفه من العلم، فما هي البيئة التي أفرزت عنها الرؤية القرآنية ؟ يتضح ذلك فيما يلي.

المطلب الثالث: آثار وحي القرآن الكريم على البيئة العلمية

تأثر المسلمون تأثيرا بالغًا بثبات وحي القرآن الكريم، على كافة المستويات، حيث أخذ المسلمون يستدلون بالقرآن الكريم؛ لأنه المصدر الأول لإثبات علوم المسلمين شرعية ولغوية واجتماعية وكونية.. من خلال رؤيته وتصوره للإنسان وعلاقته بمن وما حوله من الكون والحياة والأحياء، كما تأثر سواد المسلمين بالقرآن فأخذوا يتعبَّدون بتلاوته لأنه كلام الله تعالى الموحَى بلفظه ومعناه إلى خاتم الأنبياء سيدنا محمد، ولا عجب فإن أول أمر قرآني هو القراءة، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[**العلق: ١**]، والقراءة أول مدخل لتحصيل العلوم، فارتقت بيئة المسلمين العلمية واعتبرته فريضة، وأثمر ذلك أمرين في غاية الأهمية هما:

١- ترسيخ القرآن للقيم الإيمانية العقلية:

أرسى القرآن قيما ضامنة لصحة تفسير الظواهر تفسيرًا خاليًا من الخيال والأسطورة، فجاء البشرية بقيم إيمانية عقلية أرساها القرآن وسار العلماء في ضوئها، من هذه القيم.

ونهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، (٤/ ٣٠٩)، ط مكتبة الخانجي بدون، وانظر محمد على قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، (ص٥٦)، ط القاهرة، سنة ١٩٨٥، كما أنها حاربت العلم والعلماء.

(١) انظر رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود الخضيري، (ص٦٦)، ط دار الكاتب العربي، ١٩٦٨م، وانظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٢٩١- ٢٩٢)، مرجع سابق.

(٢) برتراند راسل: (١٨٧٢ – ١٩٧٠م) بريطاني معاصر، مؤسس المنطق الرياضي الحديث، رفض لقب لورد الذي ورثه عن جده لأمه، كما رفض الجندية في الحرب العالمية الأولى لأنها عدوانية فسجن عام ١٩١٨ م وبعد الحرب انتقل لأمريكا حتى أصدر كتابه (تاريخ الفلسفة الغربية) ١٩٤٥ رجع انجلترا بعد الحرب العالمية الثانية، فقاد سلسلة مظاهرات ضد التسلح النووي فسجن مرة أخرى ١٩٦١، انظر د. سامي خشبة، مفكرون من عصرنا، (ص٤١٠- ٤١٢)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠٨.

(٣) برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع، ترجمة د. تمام حسان، (ص٤١)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٠.

قيمة النظر العلمي والتفكر: والدعوة لاستعمال النظر، قال تعالى: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [**يونس: ١٠١**]، لأن المسلمين مطالبون بمعرفة كل علمٍ يتعلق بالأرض أو السماء، لأن التفكر في خلق الله تعالى واستعمال النظر وسيلة عملية لإدراك الإيمان.

قيمة الأخذ بالدليل والبرهان، وترك القول بالظنون: قال تعالى: ﴿**فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ [**القصص: ٧٥**]، وأمر الله النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقال: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [**البقرة: ١١١**]، هذا يدل على ضرورة الأخذ بالدليل وعدم الأخذ بالظن، وترك التفسير الأسطوري والحكم على الأشياء جزافًا.

قيمة ممارسة المنهج العلمي: قال تعالى: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾[**الأعراف: ١٧٩**]، فشبههم بالأنعام لعدم استخدام الحواس، فأما العين فعليها مدار قيام المنهج العلمي الحسي، وأما الأذن فعليها مدار المنهج المنقول سماعًا، وقد قام العلماء بتحمل أمانة الدين وأدائه.

المقايسة ومماثلة أول الخلق لنهايته: فالبداية للكون تدل على نهايته كما قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُه وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[**الأنبياء: ١٠٤**]، ووقوع البداية دليل على إمكانية النهاية والبعث والنشور، وهي قيمة فاعلة بلدلالة المشابهة والمقايسة[(١)]، تلك القيم العقلية الإسلامية لها بالغ الأثر في الحث على نظر المسلم في كافة مجالات الحياة، فأمر القرآن بالقراءة ودعا للنظر والتفكر وهو عملية عقلية تميز الإنسان عن بقية الخلق، وعلى العقل مدار التكليف في الإسلام، واعتبر ما يتوصل إليه المسلم يوثق صلته الإيمانية بالله رب العالمين، والأصول العقدية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل.

٢- مصطلح (الاعتبار) والمنهج العلمي:

حث القرآن على الاعتبار: باستقراء آيات الاعتبار في القرآن لوحظ ورود الاعتبار في شأن الأحداث الماضية، قال تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾[**الحشر: ٢**]، والأمر للوجوب ويكون الاعتبار ثمة بعظة القلب وأخذ العبرة بما مضى، كما ورد الاعتبار في القرآن في شأن ظواهر الكونية، قال تعالى: ﴿**يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾[**النور: ٤٤**]، والاعتبار يكون ثمة بالنظر العقلي المبني على المشاهدة فيه.

وصار مصطلح (**الاعتبار**) من المصطلحات القرآنية الحاثة للمسلمين على استعمال المنهج العلمي، فاستعمله المسلمون في لغتهم العربية لغة القرآن، فأطلق أهل اللغة (**المعتبر على المستدل بالشيء على الشيء، وأن الاعتبار بمعنى العِبْرة بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشَاهَد إلى ما ليس بمُشَاهَد، وبمعنى قياس ما غاب على ما ظهر، وبمعنى الاختبار والامتحان، والاعتداد بالشيء في ترتب الحكم، فقال الفقهاء بالاعتبار بالعَقِب أي الاعتداد في التقدم به، ويقال: (أمر اعتباري) أي ليس ثابتا في الواقع**)[(٢)]، وهذا الاستعمال من أكبر الأدلة على اقتران العقل المسلم بالمشاهدة، ودال على التقاء دلالة العلم مع اللغة والدين، فخلق بيئة علمية جاذبة وحاضنة للعلم حتى ظهر ابن الهيثم وأمثاله، مما أفرز حضارة للمسلمين احتوت الدين والعلم معًا دون أدنى شعور بصدام.

دليل ذلك ما قدَّمه الدكتور علي سامي النشار (١٩١٧- ١٩٨٠م)[(٣)]، لنموذج من كبار العلماء المسلمين الذين استعملوا المنهج العلمي، هو (الحسن ابن الهيثم) (٣٥٤- ٤٣٠هـ)[(١)]، فقال: (**استخدم ابن الهيثم**

---

(١) انظر الأستاذ أنور الجندي، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، (٧/١٢- ١٥)، بتصرف واختصار، ط دار الأنصار، بدون، وانظر أعمال ندوة الدين والتدافع الحضاري، (ص٨٧- ٨٨)، ط شهر مجلة رسالة الجهاد، إصدار أكتوبر، سنة ١٩٨٩، وانظر موسوعة الحضارة الإسلامية، مصطلح المنهجية العلمية، (ص٦٨٢- ٦٨٦)، ط القاهرة، سنة ٢٠٠٥، وانظر د. عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، الإسلام والبشرية الحائرة، (ص٧٣- ٧٧)، ط دار السلام، سنة ٢٠٠٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (ص٢٧٨٢)، مادة (عبر)، وانظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص٣٢٠) مرجع سابق، وانظر الكفوي، الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، (ص١٢٥- ١٢٦)، مرجع سابق.

(٣) د. علي سامي النشار: (١٩١٧- ١٩٨٠) من أبرز فلاسفة الإسلام، شافعي مهتم بعلم الكلام، انظر موقع ويكبيديا- ٣/٥ / ٢٠١٧.

المنهج الاستقرائي وقد سمَّى التجربة بالاعتبار وسمى من يقوم بالتجربة بالمعْتَبِر، وأطلق على الإثبات بالتجربة: الإثبات بالاعتبار[2]، فإطلاق الاعتبار على التجربة إطلاق دال على مدى تأثر العلماء بالبيئة التي غذاها القرآن الكريم.

لذا فمن الممكن القول: إن رؤية القرآن للعلم كانت داعمة لرؤية العلماء منشئة للبيئة العلمية، مما هيأها لإنشاء (منجز علمي) قائم على اتصال حقيقي بكتاب سماوي، وتناول المسلمين نواة المنهج العلمي الذي يَسْبُر غور الأشياء لمعرفة حقائق الكون يجعلنا ندرك خطأ تنكر علماء أوربا لعموم الدين، والناس أعداء ما جهلوا.

المطلب الرابع: مقارنة مفهوم الوحي في الكتب السماوية

من خلال مقارنة آثار مفهوم وحي الكتب السماوية تبين لدينا ما يلي:

١- إنشاء القرآن للبيئة العلمية:

من النتائج التي يمكن الانتهاء إليها، وهي حقيقة واقعة بالفعل أن الروح العلمية في الإسلام مستمدة من هدي القرآن، لأن القرآن أوجد البيئة المناسبة للعلم، وأحدث رواجا علميا في الحضارة الإسلامية بسماحة وانسجام القرآن مع العلم ومنجزاته بموجب النظر الواجب القائم على مكونات هذه البيئة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم - آخر وحي السماء لأهل الأرض- المتفق مع الطبيعة والكون بالفعل، الذي أثمر نتاجًا بيئة علمية حضاريَّة، فلسنا في حاجة لمقياس ينسجم مع العلم؛ لأنه منسجم بالفعل مع العلم ذاتيًّا من خلال أوامره بالنظر والاعتبار ونزولها منزلة التشريع للعلم، وقد أشار النابهون من علماء الإسلام[3] إلى ذلك.

٢- بيئة الإسلام حاضنة لعلماء أهل الكتابين السابقين:

بناء على ما سبق فإن البيئة الإسلامية كانت حاضنة للعلم والعلماء، في اندماج حقيقي من العلماء في شتى مجالات العلم من طبٍّ وصيدلةٍ وكيمياءَ وفيزياءَ وطبيعةٍ ورياضياتٍ وبصرياتٍ.. حيث تمتع العلماء من مسلمين ويهود ونصارى في كافة مجالات العلم من طب وصيدلة بحرية تامة في البحث في مجالاتهم العلمية، وهيأت السلطة الدنيوية ذلك لما وجدوا انسجام القرآن مع بحوث العلم، ولقد (**أتيح لهم إقامة مدارس علمية في شتى المجالات وخاصة الطب والكيمياء، ومن هؤلاء آل بختيشوع فقد بدأ ظهورهم مع بداية دولة بني العباس، في جُنْدَيْسَابُور**[4]**، وكيف تحقق لهم مركزًا لدراسة الطب، انبثقت منه حركة الاشتغال بالعلوم الطبية، لأن حواضر العالم الإسلامي (مِصْر ودِمَشْق والعراق..)، كان بها**

---

(١) الحسن بن الهيثم: (٣٥٤- ٤٣٠هـ) (٩٦٥- ١٠٤٠م) عالم موسوعي قدم إسهامات كبيرة في الرياضة والبصريات والفيزياء وطب العيون، والعلوم بصفة عامة بتجاربه التي أجراها مستخدمًا المنهج العلمي، له مؤلفات عدة، واكتشافات علمية أكدها العلم الحديث، أثبت ابن الهيثم حقيقة أن الضوء يأتي من الأجسام للعين، وليس العكس كما هو سائد، وصحح بعض المفاهيم النظرية عند أرسطو وبطليموس، انظر د. مصطفى لبيب عبدالغني، تاريخ العلوم عند العرب، (ص٢٥٥- ٢٧٠)، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠٠٨.

(٢) د. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، (ص٣٤٨)، ط دار النهضة العربية، سنة ١٩٨٤.

(٣) انظر د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقد أفاد في هذا المضمار وأجاد، رحمه الله تعالى، في كتابه (الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية – لماذا وكيف؟)، ط دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، سنة ١٩٨٤.

(٤) جُنْدَيْسَابُور: بناها سابور بن أردشير، فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده، مدينة خصبة واسعة الخير بها النخل والزروع والمياه، بها آثار بائدة، فتحها المسلمون بقيادة أبي موسى الأشعري مع نهاوند سنة ١٩ هـ أيام عمر، وكتب إليهم عبدٌ بعهد أمان فقبل أهلها العهد من العبد، وكتب عمر بإمضاء ما كتبه العبد، ونزلها يعقوب بن صفار لحصانتها، رغما للسلطان سنة ٢٦٢ أو ٢٦٣هـ فمات بها سنة ٢٦٥هـ، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، (٢/ ١٧٠- ١٧١)، ط دار صادر بيروت، بدون.

عشرات الأطباء والصيادلة من غير المسلمين)[1]، فتمتع اليهود والنصارى بممارسة العلوم في مختلف بلاد الإسلام..

وقد اعترف بذلك علماء الحضارة الغربيون أمثال غستاف لوبون، وول ديورانت، وغيرهما، بل أكثر من هذا فقد أثبت مؤرخون غربيون أن (**الحضارة الغربية الحديثة كان وقودها الأول حركة الترجمة التي قام بها بعض الرهبان من العربية إلى اللاتينية مثل جيرارد الكريموني**[2]**، في طليطلة بين (١١٧٥- ١١٨٧)، وقد أثّرت تأثيرا عميقا في الفكر الديني والفلسفي والعلمي للأوربيين خلال العصور الوسطى)**[3]، وهذا يدل على أن البيئة العلمية الإسلامية خدمت أوربا قبيل الثورة العلمية فكان التمهيد الطبيعي والوقود الدافع لها.

إن علماء اليهود والنصارى تمتعوا بتلك الرؤية الإسلامية بعدما وجدوا في مفهوم وحي الكتب المقدسة لديهم ما يخالف ميولهم العلمية، بعدما وجدوا إصرار رجال الدين على الكتاب المقدس من مخالفة العلم، مما أدى إلى تردد نظرتهم للكتاب المقدس المشتمل على أخطاء علمية ومعضلة اصطدام فقراته لحقائق العلم الثابتة والنَّزعة العلمية لديهم.

٣- انتفاء شبهة التعارض بين القرآن والعلم:

انتفاء شبهة التعارض بين وحي القرآن والعلم؛ لأن كتاب الإسلام لا يوجد فيه أدنى تعارض بين النقل الصريح والعلم الصحيح، ولا توجد تفرقة بين القضية الدينية والحقيقة العلمية، لأن من الأمور المسلَّمة في الإسلام عند افتراض وقوع تعارض بين الدين والعلم أو العقل والنقل، وجوب العمل على الجمع والتوفيق بينهما، أو تأويل النقل بما يتفق مع يقين العقل وبالتالي أقول لقد انتفت دعوى قياس القرآن بالمنهج التجريبي، وينتفي كذلك ما وقع فيه علماء أوربا من تعميم الحكم على كل الكتب السماوية في معارضة العلم.

وتتأكد تلك الحقائق من خلال الدراسة المقارنة بين الكتب السماوية الثلاث من خلال بيان علاقتها بالعلم، فهل ترقى نصوص الكتب السماوية اليوم سوى القرآن الكريم – بناء على ما سبق – إلى موافقة المعارف العلمية الحديثة المنبعثة في أرجاء المعمورة؟ وهل تساير الكتب السماوية - بحالتها اليوم - التطور العلمي من عصر إلى عصر بعد انقطاع صلتها عن مفهوم الوحي الصحيح؟ وهل نظرة علماء اليهودية والنصرانية والإسلام للعلم بصفة عامة؟ هذه ما ستحاول الدراسة البحث عنه وبيانه والإجابة عليه في المبحث التالي إن شاء الله.

***

---

(١) انظر غستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (ص٤٣٥– ٤٣٧)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠٠، وانظر ول ديورانت، قصة الحضارة – عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، المجلد السابع، (١٣/ ١٧٧– ١٩٦)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠١، وانظر د. جورج شحاتة قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، (ص٢٠٨– ٢٧٣)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٤.

(٢) جيراردو الكريموني: (١١١٤– ١١٨٧)، مستشرق من علماء إيطاليا مولده ووفاته في كريمونا من مدن إيطاليا الشمالية، أقام زمنا في طليطلة بالأندلس، فترجم عن العربية إلى اللاتينية، أكثر من سبعين كتابا من كتب الهيئة وأحكام النجوم والهندسة والطب والطبيعة والكيمياء والفلسفة، وطبع بعضها، انظر خير الدين الزركلي، الأعلام، (٢/ ١٤٩)، ط دار العلم للملايين، سنة ٢٠٠٢.

(٣) انظر ستانوود كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة د. محمدفتحي عثمان، (ص١١٧– ١١٨)، ط الدارالسعودية، سنة ١٩٨٢.

المبحث الثالث

موقف الكتب السماوية من العلم

المطلب الأول: موقف العهد القديم من العلم (رواية خلق الكون)

إن موقف العهد القديم من العلم تبدو أماراته بعد بيان مفهوم الوحي والآثار المترتبة عليه، فمن الممكن استنتاج علاقته بالعلم، لذلك قال دكتور إبراهيم عوض: (**إن الاضطرابَ في موقف الكتاب المقدسِ نحو العلم والمعرفة يَعْسر فهمُه وتفسيرُه إلا على أساسٍ واحدٍ هو أنه -على وضعه الحالي- صناعةٌ بَشَرِيَّة**)(١)، ولئلا نتعجل النتيجة قبل مقدماتها فسوف أبيّن نموذجًا من الكتاب المقدس عند اليهود، والذي أطلِق (**العهد القديم**)، يشرح موقفه من العلم، لتتضح علاقة كتاب اليهود من العلم، وقد اخترت قصة (**خلق الكون**) في سفر التكوين؛ لأنها في صدر الكتاب في سفر التكوين كمقدمة واستهلال له، ولكون قصة الخلق في هذا السفر محل إجماع بين اليهود والنصارى، وسأطرح تساؤلا هو (**ما هي علاقة قصة خلق الكون في الكتب السماوية بالمعارف الحديثة؟**).

تعرَّض الكتاب المقدس في أول سطر من أول (**سفر التكوين**) لمسألة (**خلق الكون**) في روايتين: الرواية الأولى طويلة استغرق نصها الإصحاح الأول كله، وأول ثلاث فقرات من الإصحاح الثاني، وأما الرواية الثانية فقصيرة احتلت بعض الإصحاح الثاني من سفر التكوين من الفقرة رقم (٤) وحتى نهاية الفقرة رقم (٨).

أولا: نص رواية الخلق الأولى:

([١]في البدء خلق الله السموات والأرض[٢] وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر -أي الماء- ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه [٣] وقال الله ليكن نورا فكان نور[٤] ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة[٥] ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا وكان مساء وكان صباح اليوم الأول [٦] وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه [٧] فعمل الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد وكان كذلك [٨] ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا[٩] وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة أرضا وكان كذلك [١٠] ودعا الله اليابسة أرضا ومجتمع المياه دعاه بحارا ورأى الله ذلك أنه حسن [١١] وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه وكان كذلك [١٢] فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بذره فيه كجنسه ورأى الله ذلك أنه حسن [١٣] وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا [١٤] وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين [١٥] وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك [١٦] فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم[١٧] وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض[١٨] ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة ورأى الله ذلك أنه حسن [١٩] وكان مساء وكان صباح يوما رابعا[٢٠] وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء [٢١]فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه ورأى الله ذلك أنه حسن [٢٢] وباركها الله قائلا أثمري وأكثري واملإي المياه في البحار وليكثر الطير على الأرض [٢٣] وكان مساء وكان صباح يوما خامسا [٢٤] وقال الله لتخرج ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها وكان كذلك [٢٥] فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن [٢٦] وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض [٢٧] فخلق الله الإنسان على

---

(١) د. إبراهيم عوض، موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم، (ص٥)، ط مكتبة الشباب، سنة ١٩٨٧.

صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم [٢٨] وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض [٢٩] وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذرا على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذرا لكم يكون طعاما [٣٠] ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما وكان كذلك [٣١] ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوما سادسا)(١).

تقييم رواية الخلق الأولى:

كفانا موريس بوكاي مؤنة التعقيب على تلك الرواية للخلق فأورد تعقيبات، من الفائدة عرضها وهي:

الأول: الإشارة إلى المياه في تلك المرحلة أمر رمزي صرف، فهناك ما يسمح بالاعتقاد بوجود كتلة غازية في المرحلة الأولى لتكون الكون، **فالإشارة مناقضة للحقيقة العلمية بالأصل الدخاني وليس المائي**.

الثانية: الضوء الذي يقطع الكون نتيجة أفعال معقدة تحدث في النجوم، ولم تكن النجوم قد تشكلت بعد على حسب رواية الخلق تلك، ومن غير المنطقي ذكر النتيجة الفعلية (حدوث الضوء) في اليوم الأول على حين تذكر الوسيلة (**خلق النجوم**) فيما بعد في اليوم الرابع، **فالترتيب غير علمي أو منطقي**.

الثالثة: وضع الليل والنهار أمر مجازي صرف لأنهما غير معقولين إلا بعد دوران الأرض حول الشمس، وهي نجمها الخاص بها، **وهذا ما لم تُشِر رواية الخلق إليه**.

الرابعة: في اليوم الثاني صورة انقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولة علميًّا.

الخامسة: في اليوم الثالث ظهور القارات في مرحلة تكوين الأرض مقبول علميًّا، وأما ظهور العالم النباتي فهو ينتظم بالتناسل بالبذرة لكن لا يمكن القول به قبل ظهور الشمس لحدوث عملية (**البناء الضوئي**)(٢)، **فالإشارة مناقضة للحقائق العلمية**.

السادسة: وضع خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل عناصر النظام الشمسي، فالأرض والقمر قد نبعا من نجمهما الأصلي وهو الشمس، **فالإشارة مناقضة لحقائق العلم**.

السابعة: في اليوم الخامس ظهور عالم الحيوان في البحر والطير، وسفر التكوين لا يشير للحيوانات الأرضية إلا في اليوم السادس بعد ظهور الطيور، فنظام ظهور الحيوانات الأرضية غير مقبول.

الثامنة: الإشارة لاستراحة الله بعد الانتهاء من الخلق، ففي سفر التكوين: (**وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل**)(٣)، إدراج مراحل الخلق المتعاقبة في إطار أسبوع أراده الكاتب الكهنوتي بهدف الحث على الطاعة الدينية، لأن مراحل الخلق تمتد على فترات زمنية شديدة الطول، فكأن الكهنة -وهم الوريثيون لحزقيال نبي النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد- أثبتوا الاستراحة لله للمحافظة على يوم السبت، فأتوا بنصٍّ يدل عليها(٤)، **فالإشارة تبين تحريف الكهنة**.

بناء على هذه التعليقات أقول:

إن ثمة أمور في رواية الخلق الأولى في الكتاب المقدس لابد من الإشارة إليها وهي:

أولًا: إن طبيعة أي كتاب إتقان مقدمته ببراعة استهلال، بعرض ما يرعى انتباه السامع، لكن رواية الخلق لم تصلح لافتتاح العهد القديم، لعدم دقتها في العرض والعبارة وركاكة لفظها وفساد معانيها.

---

(١) الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح الأول (١- ٣١)، ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، سنة ١٩٨٧.

(٢) عملية البناء الضوئي: هي عملية تحويل طاقة الضوء في النباتات الخضراء إلى طاقة كيميائية تخزن في الطعام الذي تنتجه النباتات الخضراء، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف التاء – مصطلح (النبات).

(٣) سفر التكوين الإصحاح الثاني (فقرة: ٢).

(٤) انظر د. موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، (ص٤١- ٤٥)، ط الفتح للإعلام العربي، بدون.

ثانيًا: لوحظ إطناب ممل زائد حيث تكررت جملة (**ورأى الله ذلك أنه حسن**)[1] سبع مرات، وفي السابعة (**ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا**)، وكان يكفي مرة واحدة، وهي إشارة كهنوتية غير صحيحة لأنها غير منسجمة مع عقيدة التوحيد، وفيها منافاة لتنزيه الله تعالى، وإيماء إلى معنى البداء، وإيهام للتشبيه.

ثالثًا: لوحظ إيجاز مُخل لما يجب فيه البيان مثل (خلق الليل والنهار قبل خلق الشمس) (خلق الأرض قبل خلق الشمس)، مما أوجب التفصيل والبيان فيها؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة غير مقبول أو معقول من كتاب يفترض أنه يزيل اللبس، فوجدناه يوقِع القارئ في الحيرة والشك ويزيد من اضطرابه وقلقه.

رابعًا: إن رواية الخلق الأولى بهذا العرض لم تُجب على أسئلة وجودية محيّرة: (**كيف المبدأ؟ وأين المصير؟ ولماذا خلق الله الإنسان؟**) فلم تُقنِع العلماء أصحاب العقول النابهة، فلما فقدوا الأجوبة في رواية الخلق في كتابهم المقدس أخذوا يبحثون عنها بأنفسهم في الكون.

خامسًا: إن هذه الإشارة الكهنوتية في قوله (**وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا**)[2]، وهذا النص في نهاية رواية الخلق، فيها أمور متناقضة، منها: **أولًا**: التناقض مع عظمة فعل الخلق لأن الخلق إيجاد من عدم محض وفيه إظهار لعظمة الخالق وإقرار بضعف المخلوق، فاشتمالها على فعل (**استراح**) المفيد للتعب يتناقض مع عظمة فعل الخلق. **ثانيًا**: هذا الوصف موهم للتشبيه، ومنافٍ لتنزيه الله تعالى وهو منزه عن مماثلة الحوادث، ويلزم عنه التعب، والله منزه عن التعب، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾[**ق**: ٣٨]، واللغوب التعب.

ثانيا: نص رواية الخلق الثانية:

أما رواية الخلق الثانية فكان نصها: (**[٤] هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات [٥]كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض ولا كان الإنسان ليعمل الأرض [٦] ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض [٧] وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية [٨]وغرس الرب جنة في عدن شرقا ووضع هناك آدم الذي جبله**)[3].

تقييم رواية الخلق الثانية:

رواية الخلق الثانية عرضٌ موجز للغاية لخلق الكون، فلم تقسّم خلق الكون على عدد الأيام، ولم تقسّم أنواع المخلوقات، فهي مغايرة للأولى، ثم تعرضت لخلق آدم وسكتت عن بيان مراحل خلق آدم، وهي بينة بتفصيل في القرآن، ثم تعرضت لإيداع آدم جنة عدن، وسكتت عن الحكمة المتعلقة بخلق آدم (**لماذا خلق الله آدم؟**) ووجدنا جواب ذلك واضحًا في قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[**البقرة**: ٣٠]، فإن انتهوا إلى دراسة القرآن لعرفوا مراحل خلق آدم وحكمة خلقه، وتبين لهم الحق في قصة الخلق.

تقييم روايتي الخلق في سفر التكوين:

الأولى: الإقرار بالخلق من عدم، قال الدكتور إبراهيم عوض: (**لم يقل أي مؤلف في التاريخ القديم إن شيئًا قد خرج من لا شيء، بل لا يوجد في الكتاب المقدس من أوله إلى آخره نص واحد يقول إن**

(١) راجع الرواية الأولى لخلق الكون، العهد القديم- سفر التكوين-الإصحاح الأول، (الفقرات: ٤، ١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٥).

(٢) الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح الثاني، (٢- ٣).

(٣) الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح الثاني، (٤- ٨).

المادة قد خلقت من العدم)[1]، والسبب في أن رواية الخلق التوراتية أقرت بالخلق من عدم لأن (**التوراة استقت هذه الصورة البدائية للكون من أساطير الشرق الأدنى، التي لم يذكر فيها جميعًا خلق المادة من العدم، وإنما كلها تنص على تشكيل المادة من سابق عليها)**[2]، فرواية الخلق مقتبسة من خرافات السابقِين.

الثانية: الانصراف عن بيان قدرة الخالق الذي يخلق الأشياء بـ (كن)، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[**يس: ٨٢**]، فروايتي الخلق يتنقصان من قدرة الذات العلية، وكمال الله خالق الكون.

الثالثة: إغفال رواية الخلق تمامًا ما في الأوساط العلمية من الحقيقة السائدة حول نشأة الكون المسماة بـ (**الانفجار الكوني)**[3]، فخالفت (**المعيار العلمي**) لأنها سرد مجرد للأحوال العامة في خلق الكون.

المطلب الثاني: موقف العهد الجديد من العلم

علاقة الكتاب المقدس بالعلم تبدو في (**اتجاهات عامة**):

أوضح الدكتور صمويل حبيب (١٩٢٨- ١٩٩٧م)[4]، الاتجاهات العامة للنصارى من العلم، فقال:

(**هناك مواقف متنوعة في الفكر الديني إزاء التقدم العلمي، نبين تلك المواقف فيما يلي: الاتجاه الأول**[5]**: تخطئة الفكر العلمي ورفضه واعتبار الصواب في الفكر الديني حيث لا يجوز مناقشته، وتوهُّم الحرب بين الدين والعلم وغِياب العقل ومعاداة المنهجِ العلمي والتمتعِ بالتكنولوجيا الحديثة، فلا إرادة للتفكير، والنتيجة أن هجوم الدين على العلم لن يثبتَ طويلا لأن التقدم العلمي سيفرض نفسه على العالم. الاتجاه الثاني** [6]**: التقاء الدين الصحيح مع العلم الصحيح، فالدين يساند العلم، والاتفاق بينهما ممكن، وللدين رأي في العلم له أو عليه، ويمكن إثبات صحة الدين بالعلم. الاتجاه الثالث**[7]**: استقلال الفكر العلمي بالكلية عن الدين، فالأول يرتبط بمنهج علمي والثاني يرتبط بالإيمان المباشر بالله، وللعلم أن يتقدم دون الخلط بينه وبين الدين، ويشترِط الدين لاستخدام الوسائل العلمية ألا يلحق ضررًا بالإنسان، بل لخدمته وتحقيق سعادته، ويوجد الدين في علاقته بالإنسان في عصر الاستنارة العلمية، والدين لا يحكم على العلم (بحلال أو حرام، أو صواب أو خطأ)، لأن الدين يقف عند حدود**

---

(١) د. إبراهيم عوض، دراسات دينية مترجمة من الإنجليزية حول القرآن الكريم والكتاب المقدس، (ص١١)، ط مكتبة الزهراء ٢٠٠٠.

(٢) سامي عبدالمطلب الباز، الأسطورة في سفر التكوين وأثرها على عقائد اليهود وأخلاقهم وربطها بواقعهم المعاصر، (ص١٣٤)، رسالة ماجستير أجيزت سنة ٢٠٠٥.

(٣) الانفجار الكوني: تعتمد على أن الكون كان في الماضي السحيق في حالة حارة شديدة الكثافة فتمدّد، وأن الكون عند نشأته كان جزءًا واحدًا مصمتًا متماسكًا، وبعد التمدد بَرُدَ الكون بما يكفي لتكوين جسيمات من بروتينات ونيترونات وإلكترونات، ثم التئمت سحب عملاقة من تلك العناصر الأولية بفعل الجاذبية لتُكوّن النجوم والمجرات، ثم تشكّلت عناصر أثقل من خلال تفاعلات الانصهار النجمي، أو أثناء تخليق العناصر في المستعمرات العظمى (الكواكب)، ورغم تكوّن نواة ذرية بسيطة خلال الثلاث دقائق التالية للانفجار العظيم، إلا أن الأمر احتاج آلاف السنين قبل تكوّن ذرات متعادلة كهربيًا، انظر د. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، (ص١٤)، ط دار ابن الجوزي، سنة ٢٠٠٥، وانظر الموسوعة العربية العالمية، حرف النون، في (نظرية الانفجار العظيم).

(٤) صموئيل حبيب: (١٩٢٨– ١٩٩٧) قس إنجيلي ومفكر مسيحي مهتما بعلوم التنمية، التحق بكلية اللاهوت ١٩٥٠ ثم حصل على ماجستير الصحافة من الجامعة الأمريكية ١٩٥٢، مؤسس الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، عمل نائبًا لرئيس الاتحاد العالمي للكنائس النصرانية منذ عام ١٩٧٧م حتى ١٩٨٢م وعضو بلجنته التنفيذية، وكان رئيسًا للطائفة الإنجيلية سنة ١٩٨٠، له كتاب (المسيحية والإنسان– أوراق مختارة)، انظر موقع ويكبيديا، وكان تاريخ الدخول عليه ٣٠/ ٢/ ٢٠١٧.

(٥) ويمثل هذا الاتجاه السائد في الأوساط الكنسية التقليدية في العصور الوسطى وإن بقيت بعض آثاره اليوم.

(٦) ويمثل هذا الاتجاه السائد في الأوساط العلمية في العصور الوسطى من الجمع بين الدين والعلم، وبقيت آثاره اليوم.

(٧) ويمثل هذا الاتجاه السائد في الأوساط الأوربية العامة في عصورها اللاحقة الداعية للفصل بين الدين والعلم، وبقيت آثاره لليوم.

القيم النفسية، وإن استخدم الدين العلم فيما هو صالح)[1]، ثم رجَّح دكتور صمويل حبيب هذا الاتجاه الأخير من خلال أربع مقولات تحت عنوان: **(قضايا مركزية في علاقة الفكر الديني بالفكر العلمي)**، ومن الإنصاف والحيدة أن نقوم ببيان تلك المقولات، وهي:

المقولة الأولى: العلم يتقدم بإرادة الله، والعلم يهدف مصلحة البشر، ونحن نستفيد من التقدم العلمي، فإن أسيء استخدام العلم كان الإنسان هو السبب. **المقولة الثانية**: الدين دعوة لإقامة علاقة صحيحة بين الإنسان والخالق تبنى على الإيمان بالله دون حاجة لإثباتات علمية، كما أن الدين دعوة لإقامة علاقة صحيحة بين الناس. **المقولة الثالثة**: يتعامل الله مع البشر عبر العصور من خلال مفاهيمهم العلمية (صوابا أو خطأ)، فتعامل الله مع الإنسان يرتبط بالإنسان والقيم لا بالقضايا العلمية. **المقولة الرابعة**: لابد من تجديد الفكر الديني واستخدام المنهج العقلاني في عصر التقدم العلمي[2]. وثمة تعقيبان:

الأول: التعقيب على الاتجاهات العامة:

إن هذه الاتجاهات العامة تقوم بتحديد الرؤية العامة للنصرانية بطوائفها، والنظر في علاقتها بالعلم وهذه الاتجاهات بصفة عامة صائبة إلى حدما، لكن يعتورها خلل، لأنها في أمور موضع نظر ومراجعة، ومنها:

أولا: إغفال موقف الكنيسة الكاثوليكية من العلم وهو ينبيء عن تصوِّر لاهوتي تقليدي عنصري متعصب، وإغفال موقفها من اليهود المتمسكين بكتابهم وإيمانهم.

ثانيا: إغفال موقف الإسلام من العلم، وما للمسلمين من تقدم علمي في القرون الوسطى، ومن عاش من اليهود والنصارى في كنف الحضارة الإسلامية كانت لهم إسهامات علمية بلا مناقضة بين الدين والعلم.

ثالثًا: احتكام العلم للقيم الخلقية وتقييده بها نقر له بذلك، لكن انتفاء حكم الدين على العلم لا يصح بالمرة؛ لأن الدين من مصادر القيم الخلقية، وبالتالي يكون للدين حكم على العلم بحلٍّ وحرمة.

رابعًا: انتفاء إثبات القضية الدينية بالعلم يضع الدين في مأزق، وبناء عليه رفض **(الإعجاز العلمي)**[3]، فنقول: هذا تعميم في غير محله، لثبوت نماذج من النصوص القرآنية منسجمة تمام الانسجام مع الحقائق العلمية.

الثاني: التعقيب على المقولات الخاصة بترجيح الاتجاه الثالث:

إن هذه الرؤية من دكتور صمويل حبيب في حاجة إلى تقييم وثمة تعقيبات عليها من نواح عديدة، هي:

١- إشكالية الصياغة للعنوان: **(قضايا مركزية في علاقة الفكر الديني بالفكر العلمي)** هي صياغة فيها نظر؛ لأن تعبير **(الفكر الديني)** -وهو فهم بشري- من المقبول وقوع الاختلاف حول الفكر، فمن الوارد اختلاف أصحاب الملة الواحدة في اتجاهاتهم الفكرية، لكن أساس الإشكالية في نص (الكتاب المقدس) للدين نفسه، وليس ثمة إشكال في **(الفكر الديني)** فضلا عن **(الفكر العلمي)**.

٢- المقولة الأولى متعلقة بالعلم: وهي (العلم يتقدم بإرادة الله) هذا صحيح، لكن: أين دور العلماء كخلفاء في الأرض؟! فهل يتقدم العلم وحده بفضل جودٍ من الله من غير بذل العلماء للمجهود؟! ومن

---

(١) د. صموئيل حبيب، المسيحية والإنسان، (ص٢٧٥- ٢٧٦)، باختصار يسير، ط دار الثقافة، سنة ٢٠٠٧.

(٢) انظر د. صموئيل حبيب، المسيحية والإنسان، (ص٢٧٧- ٢٨٢)، باختصار دقيق، المرجع السابق.

(٣) الإعجاز العلمي: وجه جديد من أوجه إعجاز القرآن الكريم، بدأ في الظهور في القرن التاسع عشر، وتوسع فيه العلماء في القرن العشرين وحتى اليوم، وقد اختلفت مواقف علماء الإسلام منه، بين متوسع في الأمر، وبين مانع بالكلية خشية على وحي القرآن لأن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وبين مجيز على سبيل التوسط بشروط معينة وضوابط محكمة، والأرجح أنه وجه معتبر في إعجاز القرآن، وهذا هو الراجح، انظر الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/٣٨٢- ٣٨٤)، سابق، وانظر مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص٢٧٠- ٢٧٥)، سابق، وانظر خالد عبدالرحمن، أصول التفسير وقواعده، (ص٢١٧- ٢٢٤)، ط دار النفائس، سنة ١٩٦٨.

أهداف العلم المصلحة الخاصة أو العامة، ثم الاستفادة من التقدم العلمي، ألا تستوجب المصلحة التعاون فيه بالتأييد؟!

٣- المقولة الثانية متعلقة بالدين: وهي مقولة علمانية[١]، اختزلت الدين في ناحيتين: علاقة الإنسان بالله ثم علاقته بأخيه الإنسان، فهذا اختزال للدين غير مقبول بالمرة، لإغفال تلك المقولة علاقة الإنسان بالكون؛ لأن الدين الصحيح يأمر الإنسان بالنظر في الأكوان لأنه خليفة في الأرض.

٤- المقولة الثالثة متعلقة بتعامل الله مع البشر: فاختزلها في الإنسان وقيمه الأخلاقية وهذا أمر لا ينكر، لكن: أين جزاء الله للعامل بناء على الجهد المبذول؟ والقرآن يبين ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾ [**التوبة: ٧٩**]، وأين تعامل الله مع العالم بناء على بحثه ونظره وتأمله في مسائل العلم؟ والقرآن يبين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[**فاطر: ٢٨**]، فالعالم أكثر خشية لله لما كُشِف له من أسرار كون الله، فهذا يدل على اعتناء الله بالعامل والعالم سواء سواء في بذل الجهد في عمل أو علم، يؤجر كل منهما في الدنيا والآخرة، بشرط توفر الإخلاص والتخلق بقيم الدين الخلقية عامة، والتخلق بقيم العمل والعلم الخلقية خاصة.

٥- المقولة الرابعة متعلقة بأمرين: الأول: الدعوة لتجديد الفكر الديني، ما هو التجديد؟ وما مجالاته؟ وفي أي فكر ديني يكون؟! **الثاني**: ضرورة استخدام المنهج العقلاني، ما حقيقة المنهج العقلاني؟ وفي أي مجال يستخدم؟ في الكتاب المقدس أو في الكون؟! لأن وحي الدين الصحيح يحمي العقل ولا ينافيه.

وفي الجملة إن الدكتور صموئيل حبيب قد ذهل عن المنهج العلمي الاستقرائي العام، فإذا نظر في القرآن وجده قائما على النظر داعيا للتدبر، في الكتاب المسطور وفي الكون المنظور معًا، كما سيتضح بعد.

محاولة إثبات الإعجاز العلمي للكتاب المقدس:

ظهرت محاولات تربط الكتاب المقدس –بعهديه- بالعلم، منها دراسة الصحفي صموئيل العشاي[٢]، بعنوان: (**الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس**)، عرض فيها لبعض ظواهر كونية وربط بينها وبين نصوص من الكتاب المقدس، على سبيل التلفيق أو التوفيق بأدنى ملابسة، وهذه المحاولة دالة على أمور:

الأول: إن كوبر نيكوس وجاليليو كانا أدق في الجمع والتوفيق بين الدين والعلم من صمويل العشاي، لأنهما كانا صادقَيْن مع نفسيهما حينما أنكرا النظام البطلمي القديم[٣]، المعتمَد لدى الكنيسة في رؤيتها للنظام الشمسي، مما جعل الكنيسة تثور عليهما، أما الأستاذ العشاي فقد سلّم لأخبار الكتاب المقدس ولم يختلف معها.

الثاني: إشباع الإنسان –مهما كان دينه- لفطرته المتعلقة باتفاق الدين – وهو فطرة في النفس البشرية - مع العلم -كواقع يعيشه الإنسان- فقام بإشباع فطرته لكنها غير منسجمة كما في القرآن الكريم.

الثالث: صحة الاتجاه الداعم لفكرة إثبات (**الإعجاز العلمي في القرآن**)، لما في محاولة العشاي من التأثر بالبيئة الثقافية التي انتشر بها مصطلح (**الإعجاز العلمي**)، تلك البيئة التي يتفق فيها الدين والعلم الكوني اتفاقًا مطبوعًا بلا أدنى تكلف أو ادعاء؛ فإذا به يسير مع هذا الإرث الحضاري للإسلام، متأثرًا بثقافة الإعجاز العلمي في القرآن بلا أدنى منافرة، لكنه تكلّف في استدلالاته واستشهاداته.

---

(١) العلمانية: تيار فكري انتشر خلال القرون الثلاثة الأخيرة (الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين)، نتيجة الصراع بين العلم والكنيسة في أوروبا، وانتهى بانتصار العلم وانهزام دعاة الكنيسة، وقد اتخذ مفكرو تلك الفترة هذا الموقف ذريعة لرفض الدين جملةً وإنكار حقائقه وعلى رأسها الإيمان بالله، ويمكن اعتبار (العَلمانية) جزءًا من التيار الإلحادي بمفهومه العام، انظر د. عامر عبدالله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، (ص٢٨٦)، ط مكتبة العبيكان، سنة ١٩٩٧، وانظر الموسوعة العربية العالمية، حرف العين – مصطلح (العلمانية).

(٢) صمويل العشاي: سبقت ترجمته.

(٣) النظام البطلمي: سبق التعريف به.

المطلب الثالث: موقف القرآن من العلم (خلق الكون في القرآن)

نفس السؤال الموجه إلى الكتاب المقدس أتوجَّه به إلى القرآن **وهو: (ما هي علاقة قصة خلق الكون في القرآن بالمعارف الحديثة؟)** فنجد أن قضية بداية خلق الكون موضع اهتمام القرآن الكريم حيث أمر البشرية بالنظر فيها، فقال: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾[**العنكبوت: ٢٠**]، لتكون دافعًا للإيمان بالله، ولتدفع دعوى الصدفة، فهي مثار تحدٍّ للبشر وإعجاز لهم، وقد أوضح القرآن أن خلق الكون في مرحلتين عامتين:

المرحلة الأولى لخلق الكون:

تلك المرحلة مكونة من حالتين كونيتين أشار إليهما القرآن (الرَّتْق ثم الفَتْق) فقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٠].

الحالة الأولى: حالة (الرَّتْق)، والرَّتْق ضد الفَتْق وهو إلحام الفتق وإصلاحه، رَتَقَه يَرْتُقُه ويَرْتِقُه رتْقًا فارتتق أي الْتَأَمَ، قال الفراء (١٤٤- ٢٠٧هـ): فتقت السماء بالقطر والأرض بالنبات[(١)]، والرتق مفردة بسيطة يستقبلها عقل البشر فيقبلها بكافة مستوياته فيدرك المعنى الذي عليه الكون من التحام تام بين السماء والأرض. **الحالة الثانية:** حالة (الفَتْق) ومعنى الفتق في اللغة: **(من فَتَقَه يَفْتُقُه ويَفْتِقُه فتْقًا، وهو الفصل بين المتصلَيْن خلاف الرَّتْق، والفتْق الصُّبح عند الإشراق، والفَتِيق: القمر إذا تخلل ضوؤه الغيوم، وأفتق قرنُ الشمس إذا خرج شعاعها من بين السحاب)**[(٢)]، والفتق مفردة بسيطة يستقبلها عقل المخاطبين بمختلف مستوياتهم فيدركون (خلق الكون)، من انفصال الالتحام الذي كانت عليه السماء والأرض، وسأبين مناسبة أقوال المفسرين للعلم.

أولا: أقوال المفسرين:

إن أقوال علماء التفسير منسجمة مع حقيقة العلم القائل بخلق الكون، فالتفسير المدون بأقلام الأئمة يشهد بانسجام النص مع العلم، فهذا إمام المفسرين ابن عباس ﵄ قال: **(كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلا، فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات)**[(٣)]، ورجّح الإمام الطبري (٢٢٤- ٣١٠هـ) هذا التفسير، فقال: **(أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال كانتا رتقًا من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات، لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[الأنبياء: ٣٠])[(٤)].

واليقين أن المفسرين قد ذهبوا ذات المذهب من التفسير، قال الإمام ابن كثير(٧٠١- ٧٧٤هـ): **(كان الجميع متصلًا بعضه ببعض متلاصقًا متراكمًا بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه.. وفصل السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وأنبتت الأرض)**[(٥)]، وقال الإمام الزمخشري (٤٦٧- ٥٣٨هـ): **(معنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر**

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (ص١٥٧٧)، مادة (رتق)، مرجع سابق.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (ص٣٣٤١)، مادة (فتق)، السابق، وانظر الراغب، المفردات، (ص٣٧١)، مرجع سابق.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، (٥/ ١٩٧)، ط مكتبة الصفا، سنة ٢٠٠٤، وانظر الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي، المجلد السادس، (١١/ ٢٥٧- ٢٥٨)، ط دار الحديث، سنة ٢٠٠٢.

(٤) الإمام الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد التاسع، (١٧/ص١٥)، ط دار الريان للتراث، سنة ١٩٨٧، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد السادس، (١١/ ٢٥٨)، مرجع سابق.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، (٥/ ١٩٧)، مرجع سابق، وانظر الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد السادس، (١١/ ٢٥٧- ٢٥٨)، مرجع سابق.

والنبات بعدما كانت مصمتة)[1]، وقال الإمام البيضاوي(..- ٦٨٥هـ): **(كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات)**[2].

من ناحية أخرى أقول: إن دلالة (الفاء) في قوله **(فَفَتَقْنَاهُمَا)** العطف والتعقيب المباشر لحالة الرتق، الدال على سرعة حدوث الخلق، وهذا مناسب لأمر الله تعالى **(كن فيكون)**، كما يدل على أن للكون بداية معلومة وليس عدميًّا كما فهم من رواية الخلق التوراتية في الكتاب المقدس، فليس الكون قديمًا أو وجد صدفة.

ثانيا: **أقوال أهل الاختصاص من العلماء**:

أما أقوال أهل الاختصاص العلمي فقد تحققت فيما توصلوا إليه من اكتشافات، حيث **(اكتشف عالم الفلك هابل (١٨٨٩- ١٩٥٣م)**[3]**، حركة التباعد المجرية سنة (١٩٢٩م)، واكتشفوا الخلفية الإشعاعية للكون سنة (١٩٦٥م)، ثم صوَّروا (الدخان الكوني) الناتج عن عملية الانفجار العظيم على أطراف الجزء المدرك من الكون سنة (١٩٨٩م)، وأثبتوا أنها حالة دخانية معتمة سادت الكون قبل خلق السموات والأرض)**[4]. ويؤكد الدكتور فاروق الباز[5]، تلك الحقائق فيقول: **(بعد أن حلَّلنا صخور القمر وتمكّنا من تحليل الشُّهُب والنَّيَازك تأكّد لنا أن عُمْر صُخور القمر وصخور المجموعة الشمسية وصخور الأرض كلها واحد، مما يدل – على سبيل اليقين- على أنها تكونت في وقت واحد، وأنها تتكون من نفس المواد، وأن الأرض والسماء كانتا متصلتَيْن فانفصلتا)**[6]، هذه أقوال أهل الاختصاص العلمي متفقة على هذا التفسير الذي ذهب إليه المفسرون –رحمة الله عليهم- فهي شاهدة بصدق القرآن على سبيل اليقين.

إذن ناسبت أقوال المفسرين الدلالة اللغوية لـ (الرتق والفتق)، كما نبعت أقوالهم من حكمة وعبقرية ناسبت أقوال العلم الحديث التي توصل إليها العلماء من تفسير علمي لبداية خلق الكون، وأدق رؤية علمية موجودة لتفسير نشأة الكون، حقيقة علمية تسمى بـ (الانفجار العظيم)[7]**، وهذا يدل على رحابة النص القرآني الدال على استيعاب الرؤية العلمية التي اكتشفت في منتصف القرن العشرين.**

المرحلة الثانية لخلق الكون:

تلك المرحلة فصلت خلق الكون حيث تعرض لذلك القرآن الكريم في عدة مواضع، منها موضع سورة فصلت، قال الله تعالى: **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً**

---

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، (٢/ ٥٧٠)، ط دار الفكر، بدون تاريخ.

(٢) البيضاوي، أسرار التنزيل وأسرار التأويل، (٢/ ٦٩)، ط دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٨.

(٣) إدوين بويل هابل: (١٨٨٩– ١٩٥٣م)، فلكي أمريكي له دور في اكتشاف الفضاء الخارجي، كان محبا للرياضة البدنية، درس القانون بجامعة أكسفورد في بريطانيا ثم ترك الدراسة لأنها لا ترضي طموحه فكانت رغبته في دراسة الفلك، ويعتبر واحدا ممن ساهموا في تطوير علم الكون الفيزيائي في القرن العشرين، وأثبت أن المجرات ليست ثابتة في الكون بل كلها يتحرك ويبتعد عنا، وعلى الرغم من تربية هابل نصرانية، لكنه أصبح لا أدريًّا في أواخر أيامه، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الهاء– كلمة (هابل).

(٤) انظر د. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، (ص١٣– ١٤)، ط دار ابن الجوزي، سنة ٢٠٠٥.

(٥) فاروق الباز: (١٩٣٨– ...)، عالم مصري ولد بمدينة السنبلاوين، عمل وكالة ناسا للمساعدة في التخطيط للاستكشاف الجيولوجي للقمر، كاختيار مواقع الهبوط لبعثة أبولو، وتدريب رواد الفضاء على اختيار عينات مناسبة من تربة القمر وإحضارها إلى الأرض للتحليل والدراسة، ، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الفاء، كلمة (فاروق).

(٦) انظر د. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، (ص١٣– ١٥)، مرجع سابق، وانظر د. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، (ص١٦٩)، مرجع سابق.

(٧) الانفجار العظيم: سبق التعريف به.

لِّلسَّائِلِينَ* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[فصلت ٩– ١٢].

مواضع تفوق القرآن:

الموضع الأول: خلق الكون بين الأصل (الدخاني) والأصل (المائي): اتفق العلم مع خبر القرآن في آيات (**خلق الكون**) حيث أخبر القرآن بوجود (**دُخَانٌ**) تفسر بها الكتلة الغازية، وهي الكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها ملتحمة التي يشير القرآن إليها بـ(**الرَّتْق**)، وهي وصل العناصر، ثم تبع ذلك الإشارة إلى (**الفَتْق**)، وهو فعل القطع أو فكّ الالتحام بهدف التكوين، قال بوكاي: (**إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى في العلم الحديث وبين تعبير الدخان في الطرح القرآني للدلالة على (الحالة الغازية) الغالبة للمادة التي كونت الكون في المرحلة الأولى**)[1]، وصدق قول الله: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾[**فصلت**: ١١]، وهذا المعنى لم يرد في رواية خلق الكون في التوراة، بل لم تشر إليه أصلا بأدنى إشارة، فقصة الخلق التوراتية تحدثت عن (**الأصل المائي**) لخلق الكون وهذا مناقض للعلم الحديث.

الموضع الثاني: تفسير أيام الخلق الستة: إن أيام خلق الكون في القرآن ليست كأيام الدنيا، فدلالة اليوم بالنسبة لخلق الكون في القرآن، لم يفهم منه المعنى المتبادر؛ لأن كلمة (يَوْم)، على سبيل الإفراد تنحو للدلالة على النهار، أما إذا جمعت فلا تعني الوحدات الزمنية المتكونة من (٢٤ ساعة)، بل تعني الدهر الطويل أو فترة زمنية غير محدّدة وإن طالت، وقد أطلقت اليوم في قوله (**فِي يَوْمَيْنِ**) بموضعي خلق الأرض ثم خلق السماء، وفي قوله (**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**)، لخلق الجبال وتقدير الأقوات تعبير مطلق لمفهوم اليوم، ثم قيّدت معنى اليوم بقيد في موضع آخر من القرآن، فقال: ﴿**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾[**السجدة**: ٥]، وأكده بقوله: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [**الحج**: ٤٧]، إذن من الواجب تفسير أيام الخلق على مراحل وأدوار[2]، فأطلق ثم قيد ليناسب المخاطب ولينطلق العقل البشري في التفكير والتدبر، وعليه يكون المراد من إطلاق القرآن لخلق الكون في (**سِتَّةِ أَيَّامٍ**) كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ [**الأعراف**: ٥٤]، بأنها (**سِتَّةِ مَرَاحِل**) هي مدة مقدرة عند العلماء بـ (٧ر١٣ مليار عام)[3] تقريبًا لخلق الكون، ولم تفهم الأيام على المعنى المتبادر للذهن من اليوم، أما تفسير أيام الخلق بالأيام المعهودة المتبادرة للذهن فغير مناسبة في رواية خلق الكون.

أقول: بمقارنة أيام الخلق في القرآن بأيام الخلق في رواية التوراة نجد أن التوراة أطلقت اليوم دون تقييد، مما يدل على أن معنى اليوم فيها يرتبط وظيفيًّا بدَوَران الأرض حول نفسها أي مدة (٢٤ ساعة)[4]، ونصَّت التوراة على قرينة دالة على هذا المفهوم من اليوم هي: (**وكان مساء وكان صباح يوما**)[5]، ثم تكررت تلك الفقرة ست مرات، فالنص والتكرار يؤكدان على أن مفهوم اليوم في رواية الخلق في التوراة هو المعنى المتبادر للذهن من (اليوم)، ومن المستحيل منطقيًّا أن تكون أيام خلق الكون بهذا المعنى، لأن عملية خلق الكون المركبة لم تستغرق هذه المدة اليسيرة، مما يشهد بفساد رواية الخلق بالتوراة، لاصطدامها مع العقل والثوابت العلمية الحديثة.

الموضع الثالث: خلق الإنسان الأول بعد خلق الكون: هذه مرحلة تالية بعد خلق الكون وبعد انفصال السماء عن الأرض، وبعد تثبيت الأرض بالجبال وتقدير الأقوات، حيث أفادت تفصيل موضع خلق

---

(١) انظر د. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، (ص١٦١– ١٧٢)، مرجع سابق، وانظر د. محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، (ص٢٦٥– ٢٦٦)، ط دار الكتب الحديثة، سنة ١٩٧٨.

(٢) انظر د. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، (ص١٥٨– ١٦٠)، مرجع سابق.

(٣) انظر د. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، (ص١٣)، مرجع سابق.

(٤) انظر د. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، (ص١٥٨– ١٦٠)، مرجع سابق.

(٥) راجع الرواية الأولى لخلق الكون، العهد القديم– سفر التكوين–الإصحاح الأول، (الفقرات: ٥، ٨، ١٣، ١٩، ٢٣، ٣١).

الإنسان من الخلق الكوني، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[السجدة: ٨- ٩].

إذن إن الإشارات العلمية في القرآن مناسبة للمخاطب على مدى التاريخ، فأقنع المخاطب الأوَّل عند نزول الوحي، كما أقنع العلماء بعدما دار العلم دورته فثبت صدق الخبر القرآني في تلقائية وبساطة معجزة، ، وبذلك صح اتخاذ العلم (**معيارًا علميًّا**)[١] فارقا بين الكتب السماوية؛ لأن القرآن الكريم في إشاراته العلمية يتفق مع المنهج العلمي (**الانفجار الكوني العظيم**)[٢] الذي توصل لحقيقة خلق الكون.

أخيرا أقول: بمقارنة ما جاء في القرآن من خلق آدم بعد خلق الكون، مع العرض بأسلوب مناسب لمنجزات العلم، حيث لم يصطدم بحقائق العلم، وبهذا الترتيب الذي تم إغفاله في رواية التوراة للخلق الأولى فاستدركته في الرواية الثانية، فأزالت الإشكالية تراتبية خلق آدم الواردة في رواية التوراة بعد خلق الكون، مما يدل على أنه الكتاب السماوي للدين الخاتم المتفق مع العلم الكوني فهو آخر وحي الله لأهل الأرض..

المطلب الرابع: مقارنة موقف الكتب السماوية من العلم

تظهر مقارنة موقف الكتب السماوية من العلم من خلال ما يلي:

الأمر الأول: منزلة الكتب السماوية من العلم:

إن الكتب السماوية السابقة لم تكن على مستوى حاجة العلماء، فاحتجوا على القضية الدينية الواردة فيها وحَقَّ لهم ذلك، حتى طالبوا بإثبات صحة (**العهدين**) بالعلم، فوضع الكتاب المقدس في العصور الوسطى في مأزق حضاري غير مسبوق، وإن ظهور اتفاق الإشارات القرآنية مع العلم واضحة، فاستطاع العلماء من خلال الإشارات القرآن العلمية القيام باستخراج وجهٍ جديدٍ لإعجاز القرآن الكريم وهو: (**الإعجاز العلمي في القرآن**)[٣]، وهو نوع من الاجتهادات التي سمح بها الفكر والتصور الإسلاميين أفرزتها البيئة العلمية المنسجمة مع العلم والكون، وهذا نتيجة استخدام المسلمين الاعتبار ممثلا في الحسن بن الهيثم -رحمه الله- كما سبق بيانه.

بمقارنة منزلة القرآن من العلم بمنزلة الكتب السماوية الأخرى ندرك يقينا أن القرآن الكريم قد أنشأ منهجا علميا لاكتشاف نواميس الكون وحقائق العلم

وبناء عليه فإن صحت دعاوى آرنست رينان[٤]، في الكتاب المقدس خاصة، تبقى الإشكالية الكبرى في تعميم التصور على القرآن الكريم، مثل فرح أنطون[٥]، ومحمد أركون[٦]، مما يدل على أثر الفكر الغربي في بعض مثقفي الشرق، فقد ادعى بعض أتباع الثقافة الغربية وطالبوا بمثل تلك المقولات، ولكن البيئة القرآنية تأبى إيراد تلك المقولة، فليست (القضية الدينية) الواردة في القرآن والصادرة عنه بمعزل عن الكون.

ولا مجال لادعاء حاجة القضية الدينية للإثبات بالتجربة والمشاهدة، وبناء عليه فإن دعوى انفصال الدين عن العلم دعوى غير مقبولة، إذا أريد بالدين (الإسلام) ودعوى انفصال الكتب السماوية عن العلم

---

(١) المعيار العلمي: سبق التعريف به.

(٢) الانفجار الكوني العظيم: سبق التعريف به.

(٣) الإعجاز العلمي: سبق التعريف به.

(٤) آرنست رينان: (١٨٢٣– ١٨٩٢)، سبق التعريف به في المقدمة.

(٥) فرح أنطون: (١٨٦١– ١٩٢٢)، صحفي وكاتب سياسي واجتماعي، هاجر من لبنان للقاهرة تأثر بالفكر العلماني، له رواية جسد فيها هذه الفكر الفلسفي، هي (الدين والعلم والمال)، انظر تقديم د. جابر عصفور لتلك الرواية، ط هيئة الكتاب، سنة ١٩٩٦.

(٦) محمد أركون: (١٩٢٨– ٢٠١٠) مفكر ومؤرخ جزائري الأصل دخل مدرسة الآباء البيض التبشيرية بالجزائر، ودرس في السوربون على يد المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (١٨٨٣– ١٩٦٢)، وحصل على الدكتوراه منها (١٩٨٠) منهجه نقدي فقام بنقد العقل الإسلامي، من آرائه زحزحة مسألة الوحي من الإيمان العقائدي، وزعم تحريف القرآن، انظر موقع ويكيبيديا، بتاريخ ١٠/ ٣/ ٢٠١٧.

وتحقير العلماء غير مقبولة كذلك، إذا أريد بالكتاب السماوي القرآن الكريم لما له من دور في إنشاء حضارة علمية نعم بها لمسلمون، ثم صدروها للبشرية فانتفعت بها أوربا في نهضتها الحديثة، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

الأمر الثاني: **القرآن مهيمن على الكتب السماوية السابقة**:

من أجل ما سبق فإن وحي القرآن معصومٌ، وإن منزلته من الكتب السماوية السابقة هي التصديق والهيمنة، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾[**المائدة: ٤٨**]، فجاء القرآن مهيمنا بإشاراته العلمية عليها، لأن علاقة القرآن بالعلم الكوني علاقة المعلم الموجه، والمهذب والمؤدب، والمبيّن للسبيل الداعم لمجالاته، فلا وجه إذن للمقارنة بينه وبين كافة الكتب السماوية؛ لأن وحيها قد تغيّر، ولو ظلت توراة موسى وإنجيل عيسى على ما كانا عليه من وحي للفظ والمعنى لكانت علاقتهما بالعلم كعلاقة القرآن به.

النتيجة والخلاصة:

إن مفهوم وحي الكتب السماوية عند رجال الدين من اليهود والنصارى كان –وما زال- له كبير الأثر في الخطايا الكبرى التي وقعوا فيها، كما أن له الدور الأكبر فيما مارسوه ضد العلم والعلماء، فتحملوا كِبَر هذه الخطايا لما ترتب من آثار نكران الكتاب المقدس، لأن مفهوم الوحي عند رجال الدين قد أثمر موقفا معاديا للعلم مما أورثهم خطايا كبرى وظلما للعلماء أفرز عن آثار سلبية جنتها البشرية، يتحمل وزرها رجال الدين.

إن العلماء -ورثة العلم الطبيعي- كانوا مجنِيًّا عليهم ثم صاروا جناة على البشرية بإلحاد مجاف للقيم الدينية الحقة، وهذا ما أدركوه بعد حين من الدهر، حيث ثم تابع علماء الكون نفس الخطايا بالغفلة عن علاقة القرآن بالكون في إشاراته العلمية أو لنقول بلا مواربة في (**إعجازه العلمي**) فضلُّوا وأضَلُّوا البشرية من ورائهم، إذ حادوا عن السبيل الأقوم.

لذلك فإن رصد علاقة الكتب السماوية بالعلم الكوني يضع أيدينا على مكمن الخلل في بعضها – بعد تحريف الكتبة والكهنة لها- ويمكننا طرح هذا التساؤل على العقلاء من رجال الدين في شتى البقاع: (**هل تنبهتم لمفهوم الوحي الحقيقي؟ وهل تنبهتم لهيمنة وحي القرآن؟**) إنه الوحي المصدّق لأصل دينكم السماوي والمهيمن على ما خلفتم من تحريف.

ومن ناحية أخرى فإنه يمكننا طرح هذا التساؤل على العقلاء من علماء الكون في شتى البقاع: (**هل تنبهتم أيها العلماء إلى علاقة القرآن بالعلم والمنهج العلمي؟**) إنها علاقة الناشئ الداعم والداعي إليه، (**وهل تنبهتم إلى صحة اتخاذ الحقيقة العلمية (معيارًا علميًّا)**[١] **فارقًا بين الكتب السماوية لبيان أولاها بالقبول؟**) فهو معيار مناسب لميولكم العلمية متفق مع ما ورد في القرآن من أخبار خلق الكون.

فإن أبيتم إلا المغالطة بتعميم الحكم فسوف أقوم برصد الآثار السلبية المترتبة على موقفكم أيها العلماء من الكتاب المقدس خاصة، لأبيّن للقارئ (**أين مكمن الخلل الذي ورّثتموه للبشرية من وراء موقفكم؟ وأين الإشكالية التي ذهلتم عنها في الكتاب المقدس ثم عممتموها على الكتب السماوية؟**) وذلك في الفصل التالي.

***

(١) المعيار العلمي: سبق التعريف به.

الفصل الثاني

الآثار المترتبة على علاقة الكتب السماوية بالعلم

(دراسة تحليلية)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: استقواء المنهج العلمي التجريبي.

المبحث الثاني: انتشار الإلحاد.

المبحث الثالث: ظهور دعوى عدم اليقين (اللاأدرية)

المبحث الأول

استقواء المنهج العلمي (التجريبي)

المطلب الأول: **رد فعل العلماء على رجال الدين**

إن مفهوم وحي الكتاب المقدس عند رجال الدين أورثهم موقفا سلبيا من العلم أدى لظهور الآثار السلبية على البيئة العامة لمعتنقي هذه الكتب السماوية، وعلى البيئة العلمية على الخصوص، مما أفرز معاداة للعلم والعلماء في المجتمع الأوربي في القرون الوسطى، ولم يرضَ رجال الدين بمحاولة الجمع والتوفيق بين الدين والعلم، لكن القاعدة تقول: (**كل فعل له رد فعل مساوٍ له في القوة ومضادٌ له في الاتجاه**) فبعد تطور العلم والاكتشافات العلمية، فقد قابل العلماء والفلاسفة والنقاد ظلم رجال الدين بردّ فعلٍ أشد ظلمًا على مستويات هي:

المستوى الأول ظلم النفس: فالركون للمنهج الحسي يجعل صاحبه يتيقن بكل ما يقع تحت حسه، أما قضايا الدين ومسلماته فلا يقبلونه، وكان هذا أول ذريعة لإلحاد العلماء أنفسهم وإنكار الدين بالكلية.

المستوى الثاني ظلم الدين وأهله: فعصف العلماء بالكنيسة وأهلها، وأظهروا إفلاس حججها وبالتالي ظلموا القضية الدينية أيما ظلم، وحكموا على الدين بما ظنوه (**معيارًا علميًّا**) وليس بشيء، لأن العالم الجاد حيال قضايا الدين بين أمرين: إما السكوت فيما عجز عن فهمه لاختلاف الموضوع، وإما البحث عن الكتاب السماوي المنسجم مع المنهج العلمي، فما سكتوا وما بحثوا فوقعوا في الإلحاد، ولو تحاكموا للقرآن لوجدوا مطلبهم.

المستوى الثالث ظلم البشرية كلها: فاتبعت البشرية منهج العلماء في إلحاد وإنكار الدين فألحد الشباب والشيبة، مما أفرز انحلالا خلقيًّا وانقلابا في ميزان القيم بالمجتمعات الغربية، ثم عمت المادية وانتشر الإلحاد.

تقييم رد فعل العلماء:

إن رد فعل العلماء لم يكن على مستوى مقبول في معيار العلم الصحيح، لأن استدلالهم بالأخص (**الكتاب المقدس**)، على الأعم (**الكتب السماوية**) فكان الدليل أخص من المدلول، فأخطأوا في تعميم الحكم على جميع كتب الرسالات السماوية دون بحث واستقصاء واستقراء القرآن الكريم المصدّق للتوراة والإنجيل ثم هيمن عليهما، والذي تولى الله – تعالى – حفظه من التحريف، وهذا مخالف للمنهجية العلمية، لأن وحي القرآن لم يصطدم مع العلم بل أنشأ بيئة علمية حقيقية.

ومن واجب العلماء دراسة الكون على أنه خلق الله، فإن فعلوا ذلك وجدوا الحق المنسجم مع الكون في القرآن الكريم، لكنهم أخطأوا في الاستقواء بالمنهج التجريبي وتمجيد العقل، واعتبار المعرفة اليقينية المستندة للتجربة، لتصورهم قدرة العقل المطلقة على حل جميع المشكلات، وتناسوا محدوديته ونسبيته وقصور أحكامه.

المطلب الثاني: **الاستقواء بالمنهج العلمي**

إن بداية المنهج العلمي في سائر أرجاء أروبا سار على خطى (**كوبر وجاليليو**)، ثم نسج العلماء على منوالهم، وبدا (**التعصب المذهبي**) للكاثوليك كعامل طرد للعلم وأهله، الذي قوبل بـ(**الخلاف الديني**) من البروتستانت كعامل جذب للعلم والعلماء، حتى بدت إرهاصات تنصل العلماء من الدين، وظهر أن اللجوء للكون بظواهره ومظاهره للنظر فيه وكشف أسراره الملجأ الوحيد للعلماء في أوربا، ثم ظهر استقواء العلماء بالمنهج العلمي يجلو شيئًا فشيئًا فيما ترتَّب على التوجُّه الفكري العام الذي بدأ بانتشار المنهج العلمي الذي تبنى دعوات ونظريات معادية للرجال الدين.

اتخذت معاداة العلماء رجال الدين صورا عديدة منها ظهور مذهب النقد للكتاب المقدس نفسه ثم ظهور منهج الشك[١] ثم العقلانية[٢] فضلا عن العلمانية[٣] بجميع مستوياتها حتى انتهت إلى حد الإلحاد، لأن دراسة العلماء عموم الكتب السماوية لم يكن بموضوعية كما يدَّعون وحيادية وتجرد طلبا للوصول للكتاب سماوي صحيح الوحي المنزه عن تحريف البشر، صحيح النسبة للنبي، فإن فعلوا ذلك بإخلاص لعرفوا الحق ولهداهم الله إلى أقوم سبيل.

أولا: **نقد الكتاب المقدس**:

بدت ظاهرة نقد الكتاب المقدس، لدى الراهب الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦)[٤] حيث (**احتج لوثر على التقاليد الكاثوليكية سنة ١٥١٧، وانتقد الكثير من شعائرها، حتى قرر البابا حرمانه، مما اضطر لوثر للرد فوجه خطابا للشعب الألماني ليتخذ موقفا حازما ضد استبداد البابوية، كما تزوج لوثر سنة ١٥٢٥ مخالفا قواعد الكنيسة ثم تبع لوثر العديد من انقادات الكتاب المقدس**)[٥]، يعَد نقد الكتاب المقدس أحد عوامل استقواء المنهج العلمي على رجال الدين، وظلت نقد العلماء والفلاسفة للقرن العشرين دلالة على استمرار الإشكالية.

أدى انتشار المنهج العلمي والدعوة للعقلانية إلى توجيه النقد للكتاب المقدس، حيث ظلت ظاهرة نقد الكتاب المقدس حتى القرن العشرين على يد الفيلسوف والكاتب الروسي لاون تولستوي (١٨٢٨- ١٩١٠م) [٦] الذي انتقد الأناجيل الأربعة، ثم لخصها في إنجيل واحد بشيء من التلفيق أو التوفيق بين الأربعة، وهذا كله لعدم قناعته بوحي الكتاب المقدس وأخباره، ومع أن نقد العلماء للكتاب المقدس وقضاياه قد أدى إلى هبوط أسهمه بين البشر، فهوت أركانه وتداعت معارفه أمام النقد الجاد، لكن بعد تلك الانتقادات الموجهة للكتاب المقدس ظلت الإشكالية عالقة فلم تحل بعد.

ثانيا: **رينيه ديكارت ومنهج الشك**:

بدأ المنهج العلمي عند رينيه ديكارت الفرنسي (١٥٩٦- ١٦٥٠م)[٧]، يقوم على مبادئ هي: **أولًا**: لا يقبل شيء على أنه حق حتى يعرف يقينا أنه كذلك، فيتجنب الحكم على الشيء قبل النظر. **ثانيًا**: تقسيم القضية من المعضلات التي سيختبرها لأجزاء على قدر المستطاع على ما تدعو إليه الحاجة إلى حلها على خير الوجوه (**قاعدة التحليل**). **ثالثًا**: سبر الأفكار بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها متدرجًا حتى

---

(١) الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وقيل: هو ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين، انظر الإمام الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، (ص١٦٨)، ط دار الريان، بدون تاريخ.

(٢) العقلانيَّة: نظريةٌ يرى أصحابها أن المشكلات الكبرى التي تواجه البشر يمكن إدراكها بالعقل، فظهر في القرن السابع عشر من تبنى ما عرف بالمذهب العقلي الفلسفي، الذي يرى أن قوة العقل والمنطق تتعارض مع العواطف والأحاسيس، ويمثل هذه الفلسفة العقلية، رينيه ديكارت، وباروخ اسبينوزا، وقد توسعوا في المفهوم الفلسفي المؤسس على فكرة استطاعة الناس بالعقل وحده إدراك الحقيقة مباشرة، ثم ظهر في القرن الثامن عشر ما عرف بالعقلانية الحضارية المعتمدة على العقل أكثر من الاعتماد على الدين في مسألة خلق الإنسان وقدره وكان من أبرز أعلام تلك الحركة فولتير، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف العين – كلمة (العقلانية).

(٣) العلمانية: سبق التعريف بها.

(٤) مارتن لوثر: سبق التعريف به.

(٥) انظر نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، (ص١٣- ١٤)، باختصار، ط دار الثقافة، سنة ١٩٨٢.

(٦) لاون تولستوي: (١٨٢٨- ١٩١٠)، سبق التعريف به.

(٧) رينيه ديكارت: (١٥٩٦- ١٦٥٠م)، فيلسوف ورياضي فرنسي كان من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية، لقب (أبو الفلسفة الحديثة)، وهو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن الـ (١٧)، أحدث كتابه (تأملات في الفلسفة الأولى) نقطة فارقة في الفلسفة الغربية، وكان ضليعًا في علم الرياضيات وأسهم إسهامًا كبيرًا فيها، وهو صاحب المقولة الشهيرة: (أنا أفكر إذن أنا موجود)، انظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٣٠٤- ٣٠٥)، مرجع سابق.

يصل لمعرفة أكثر ترتيبًا، **رابعًا**: مراجعة شاملة لما توصل إليه حتى يكون على يقين أنه لم يغفل شيئًا، يقول بعد عرضه لذلك المنهج: **(ما أرضاني من ذلك المنهج هو ثقتي أنني بواسطته أستعمل العقل في كل أمر)**[1]، فركن ديكارت لعقله فمجَّده، فاعتبر التفكير العقلي المجرد أساسًا للمنهج العلمي، وهذا غير مسلَّم، لذلك سوف نقف على فساد هذا المنهج الذي ركن إليه علماء الرغب، وذلك من خلال تقييم منهج رينيه ديكارت.

تعليقات على منهج الشك عند ديكارت:

من الممكن تقييم منهج الشك عند ديكارت من خلال ما يلي:

أولا: إن ديكارت عرف بشدة تمسكه بالدين، فكان كاثوليكيا مقتنعا أن فكرة (الله) ذاتها تحوي إثبات وجود الله، وبعدما انتهى من وضع منهجه نذر أن يحج لكنيسة العذراء بإيطاليا[2]، فكيف نجمع بين منهجه الداعم للإلحاد وبين تدينه الكنسي؟!. يتضح الجواب في الفقرة التالية.

ثانيا: إن منهج ديكارت الشك مستمد من منهج الإمام الغزالي (٤٥٠- ٥٠٥هـ) (١٠٥٨- ١١١١م) [3]، وهو العالم المسلم الصوفي، في كتابه **(المنقذ من الضلال)**، حيث أقام الإمام الغزالي هذا المنهج قبل ديكارت بخمسة قرون[4]، وليس عيبًا أن يتلاقح الفكر، أو يتلاقى بتوارد الخواطر، لكن العيب ألا ينسب العلم إلى أهله، لكن الفرق أن منهج الشك عند الإمام لم يورث إلحادا في البيئة الإسلامية، كما أورث صاحبه تمسُّكًا بالإيمان، أما الشك الديكارتي أصبح ذريعة للإلحاد مسوّغًا له فيما بعد، إذ ترتَّب على منهجه العقلي الكثير من الممارسات العلمية التي ظنها البعض يقينًا وليست كذلك، فإن للشك خطورة على عقيدة الفرد وإيمانه.

ثالثا: منهج ديكارت قائم على العقل المجرد، فقال: **(العقل هو أحسن الأشياء توزيعًا بين الناس بالتساوي.. وهو قوة الإصابة في الحكم وتمييز الحق من الباطل)**[5]، وهذا ذهول عن البدهيات العقلية **(التي لا يتوقف حصولها على النظر والاستدلال)**[6] والبدهيات معتبرة في شمولية مفهوم العلم في الإسلام.

إن ظهور توجه ديكارت وسائر علماء الغرب للمنهج العلمي للبيئة المضطربة التي شكلت العقلية الغربية بموجب الحرب الدينية الثلاثين (١٦١٨)[7]، كما سبق، وما تلاها من (العصبية المذهبية) التي شهدتها أوربا في القرون التالية، وتأكد توجه العلماء لإشباع قناعاتهم وميولهم العلمية التي قمعها رجال الدين بسيطرتهم على عقول الأتباع لاتقاء فداحة المعارضة، لكن بعد ظهور مذهب الشك ظلت معاداة العلماء لرجال الدين قائمة وظلت إشكالية الكتاب المقدس عالقة فلم تحل بعد، بل مهد الشك إلى ظهور المذهب العقلاني.

ثالثا: اسبينوزا واستفحال الدعوة العقلانية:

---

(١) انظر رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود الخضيري، (ص١٣٠- ١٣٥)، بتصرف، ط دار الكتاب العربي، سنة ١٩٦٨.

(٢) انظر رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، (ص٧٤)، السابق، وانظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٣١٢)، سابق.

(٣) الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي: (١٠٥٨- ١١١١م) حجة الإسلام، فيلسوف متصوف له قرابة مائتي مصنف، نسبته لصناعة الغَزْل لمن قال بتشديد الزاي، أو إلى غَزَالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف، من أهم كتبه (تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد)، و(المنقذ من الضلال)، و(إحياء علوم الدين)، انظر خير الدين الزركلي، الأعلام، (٧/ ٢٢)، مرجع سابق.

(٤) انظر د. محمود حمدي زقزوق، المنطق الفلسفي بين الغزالي وديكارت، (ص٨٨)، ط مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨١.

(٥) انظر رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، (ص١٠٩)، سابق.

(٦) الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، (ص٦٣)، ط دار الريان للتراث، ١٤٠٣هـ.

(٧) حرب الثلاثين: سبق التعريف بها.

انتقد الفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا (١٦٣٢- ١٦٧٧م)[١]، انتقادا شديدا للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فانتقد الكتاب المقدس بمقولات بدى فيها موقفه المحكِّم للعقل، فقال: (**لا توجد أية صلة بين الإيمان واللاهوت من ناحية وبين الفلسفة من ناحية أخرى لأنهما متعارضان أشد التعارض من ناحيتين: الأولى الغاية: فغاية الفلسفة هي الحق، وغاية الإيمان هي الطاعة والتقوى، الثانية: الأسس التي تقوم عليها الفلسفة هي الأفكار يجب أن تستخلص من الطبيعة فقط، أما الإيمان فأسسه التاريخ وفقه اللغة**)[٢]، ومع أن اسبينوزا اضطر إلى عملية نقد الكتاب المقدس لفساد وحيه، وأن له وجه مقبول، لكن انتقاده يحمل مغالطات أبينها فيما يلي:

تقييم نقد اسبينوزا للكتاب المقدس:

ثمة خلل في نقد اسبينوزا يبدو في الأمور التالية:

الأول: غالط اسبينوزا نفسه لأنه اعترف قبل ذلك بتأليف البشر للكتاب المقدس، فقال: (**الواقع أن الكتب المقدسة ليس لها مؤلِّف واحد، ولم تكتب للعامة الذين عاشوا في عصر بعينه، بل هي عمل عددٍ كبير من الناس في عصور مختلفة قد تصل إلى أَلْفَي عام وربما أكثر**)[٣]، إذن المشكلة تكمن في صلاحية الكتاب المقدس لعصر العلم، إذن الكتاب المقدس سبب المشكلة بين الدين والعلم، وهل للقرآن مثل هذا النقد الموجه للكتاب المقدس، ليت اسبينوزا عمم بحثه في بقية الكتب السماوية، ليعرف الحق.

الثاني: مغالطة اسبينوزا مع نفسه لاعترافه باختلاف الفِرَق النصرانية، فقال: (**مؤسسوا الفرق لا نريد اتهامهم بالكفر لكونهم أوّلوا كلام الكتاب حسب معتقداتهم، فإن لكل شخص الآن الحق في أن يكيفه حسب معتقداته لكننا نتهمهم بذلك لأنهم لا يعترفون للآخرين بنفس الحرية ويحتقرون مخالفيهم**)[٤]، طلب اسبينوزا احترام حريته في الكفر والإلحاد، ولم يلتفت إلى المشكلة الحقيقية الكامنة في الكنيسة، من احتكار الكهنة فهم الكتاب المقدس، وحرمان الشعب من الاطلاع عليه، فأراد اسبينوزا الإبقاء على الود مع اللاهوتيين لئلا يضار من معاداتهم مثلما حدث لغيره من علماء الطبيعة من قبل، فلم لَم يطالب بحقه في تأويل الكتاب المقدس؟!

الثالث: مغالطة اسبينوزا حينما فسَّر الفلسفة بالعلم الطبيعي، فقال: (**غاية الفلسفة هي الحق وحده.. وإن الأسس التي تقوم عليها الفلسفة هي الأفكار المشتركة التي يجب أن تستخلص من الطبيعة وحدها**)[٥] وإن صح ذلك في عصره لبداية ثورة العلم، لكن أين هذا قبل الثورة العلمية؟! فماذا يقول في اتفاق القرآن مع حقائق العلم، فقد غفل اسبينوزا عن دعوة القرآن للتدبر كمطلب شرعيّ مُسلَّم به وكحق للمسلم، كما غفل عن دعوة القرآن لإمكانية التأويل للراسخين في العلم في مواطنه بشروطه، مع التمكن من أدواته وهو حق للمجتهد، كما غفل اسبينوزا عن علاقة القرآن بالعلم والكون وهي معلومة الانسجام على سبيل اليقين.

الرابع: كان انتقاد اسبينوزا ممهدا لتقدم العلماء في مواجهة رجال الدين خطوة جديدة حين دعا جون لوك الإنجليزي (١٦٣٢- ١٧٠٤م)[٦]، لاستخدام العقل بأن (**التعصب للدين الذي مزّق أوربا كان –**

---

(١) باروخ اسبينوزا: (١٦٣٢– ١٦٧٧م)، فيلسوف هولندي الأصل يهودي الديانة، لدعوته أن العقل لا يخدم اللاهوت لأن كلا منهما مجال منفصل عن الآخر، فالعقل يطلب الحق وحده، وأما اللاهوت فإنه يطلب التقوى والطاعة؛ لذا حكم حاخامات اليهود بطرده كنسيا سنة (١٦٥٦ م)، ولم يهتم فقد رحب بالحكم، انظر كارين ارمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٣١٢)، وانظر الموسوعة العربية العالمية، حرف السين – كلمة (اسبينوزا).

(٢) باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفي، (ص٣٦٣)، ط مكتبة النافذة، سنة ٢٠٠٥.

(٣) باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، (ص٣٥٥– ٣٥٦)، المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، (ص٣٥٦).

(٥) المرجع السابق، (ص٣٦٣).

(٦) جون لوك: (١٦٣٢– ١٧٠٤م)، فيلسوف تجريبي إنجليزي، زهد في تعلم اللاهوت بسبب تعصب رجال الدين ثم انتقل للفلسفة، عينه ملك إنجلترا وليام الثالث (١٦٥٠– ١٧٠٢) مستشارًا للحكومة في ميدان النقد، لما وقعت العصبية بين الكاثوليك والبروتستانت هرب لهولاندا

ببساطة- بسبب فكرة الناس القاصرة عن الله، فإذا أتيح لهم استخدام قواهم العقلانية سيكتشفون الحقائق؛ لأن الكون به أدلة وجود الله)(١)، وظهور دعوة العقلانية تسري بين علماء أوربا أمارة على استقواء (**المنهج العلمي التجريبي)**(٢) على الدين ، ولهذا دلالة على استمرار الإشكالية في تعميم الحكم على كافة الكتب السماوية.

ليت الناقدين للكتاب المقدس والشاكِّين والعقلانيين فرادي ومجتمعين، أقول: ليتهم عمموا بحوثهم للكتب السماوية، حتى قارنوا بين مفهوم وحيها جميعًا، لعلهم يصلون إلى الحق حيث أصابوا شطر الحقيقة وبقي الشطر الأكبر متوقفًا على دراسة القرآن بإنصاف، لكنهم لم يقفوا على الحق بعدما تبين لهم.

المطلب الثالث: تمجيد العلم وفساد الرؤية

استخدم العلماء في أوربا المنهج العلمي بصورة كبيرة لدرجة فساد الرؤية العلمية الرشيدة حين استبدلو العلم بالدين، لذلك أطلق الباحثون المؤرخون لتلك الفترة مصطلحات صادمة للدين، مثل مصطلح (**الدين العلمي**) (٣) عند المستشرقة كارين أرمسترونج، ومصطلح (**عبادة العقل)**(٤) عند الدكتور عبدالرحمن بدوي(٥) فقال: (**كانت عبادة العقل الطابع الرئيس للقرن الثامن عشر، يجب أن يقوم عليها بناء الجماعة الإنسانية في مختلف ميادينها سواء في السياسة أو الأخلاق أو المعتقدات والنظرة الكونية.. فأرادوا الفصل بين مملكتي العقل و(الله) ومنحوا كل واحد منهما استقلالها التام، مع الإيمان بهما جميعًا في أطهر صورهما فهم يؤمنون بالله لكن لا يؤمنون بحق الكنيسة في الهيمنة على عقائد الناس وكل ما يطابق العقل من الدين يجب الاعتقاد به)**(٦)، ولهذه المصطلحات دلالة واضحة على طغيان المنهج العلمي واستعباد العقل في البيئة الأوربية في تلك الفترة التي مرت بالعلماء، ولهذا توجيه وتقييم.

تقييم هذه المصطلحات:

لاتهامه في مؤامرة شافتسبري وكتب مقالة في التسامح الديني نشرها سنة (١٦٨٩)، انظر جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة منى أبوسنة، (ص٧)، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠٠٥.

(١) كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٣١٠)، مرجع سابق.

(٢) المنهج التجريبي: اتجاه يرفض التأملات الميتافيزيقية مضاد للمذهب العقلي، انظر د. محمود حمدي زقزوق، تمهيد للفلسفة، (ص١٥٣)، ط دار المعارف، سنة ١٩٩٢.

(٣) الدين العلمي: مصطلح استخدمه بعض المستشرقين للتعبير عن الفلسفة العلمية الجديدة التي ظهرت في العالم الغربي بسبب الثورة العلمية وبفعل الاكتشافات العلمية الجديدة التي تُعَدّ إرهاصًا بإنكار الدين ومسلماته، ونذيرًا ببداية ظهور الإلحاد في العالم الغربي، انظر كارن أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، ترجمة د. فاطمة نصر، (ص٢٩٧)، ط هيئة لكتاب سنة ٢٠١٠، وهذا المصطلح وضعه الغرب للتعبير عن البيئة الإلحادية في سياق تلك الثقافة، وهو غير مقبول للتعبير عن البيئة العامة والعلمية للمسلمين لأن الإسلام حفز على طلب العلم بمفهومه الشامل، وسوف أقوم بتقييمه في موضعه عند إيراده في الدراسة.

(٤) عبادة العقل: مصطلح للتأريخ لفترة الثورة العلمية وهو للدلالة على التفكير الملحد المنحل من قيود الدين، (الباحث).

(٥) عبدالرحمن بدوي: (١٩١٧- ٢٠٠٢) أحد أبرز الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة المصريين في القرن العشرين، يمتاز بكثرة مؤلفاته، تخصص في الفلسفة الوجودية، نال الدكتوراه في (الزمان الوجودي)، علق طه حسين عليها أثناء المناقشة بقوله: (لأول مرة نشاهد فيلسوفا مصريا)، وله كتاب (مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية) وقد حقق كتاب (الأخلاق) لأرسطو، والرجل أنهى مشروعه الفكري بعود كريم إلى الفكر الإسلامي، فأخرج كتابه (دفاعا عن القرآن ضد منتقديه)، و(دفاعا عن محمد)، انظر تقديم د. محمد عمارة لكتاب (دفاعا عن القرآن ضد منتقديه)، (ص٣-١٩)، ط الأزهر الشريف في شهر رجب، سنة ١٤٣٦هـ، وانظر د. سعيد اللاوندي، عبدالرحمن بدوي – فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، ط مركز الحضارة العربية – القاهرة، سنة ٢٠٠١.

(٦) د. عبدالرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوربي– (نيتشه)، (ص١٢٩- ١٣٣)، ط وكالة المطبوعات، سنة ١٩٧٥.

إن تلك المصطلحات (**الدين العلمي**)، و(**عبادة العقل**) أو غيرها، إن وردت في سياق التأريخ لتلك الفترة الغربية، للدلالة على استقواء المنهج العلمي على الدين، فثمة وجه لورودها مع الغرب وكتابه المقدس وحضارته ، لكن لا يمكن ولا يليق ورود ذلك مع الإسلام وكتابه وحضارته في أي عصر من العصور لأن منزلة القرآن من العلم والكون معلوم أثرها في خلق بيئة علمية، وإطلاق هذه المصطلحات لا يليق والإسلام.

ثم إن إحلال المنهج العلمي محل الدين المجرد أمر غير مُسلّمٍ به؛ لأن العلم مهما استعمل من مناهج علمية أو نقدية أو عقلية وعلا قدره فيها وزادت منجزاته فلا يمكنه أن يحل محل الدين، لأن العلم له حدود وقيود يجب ألا يتعداها أو يتجاوزها لأنه إن تجاوزها وقف حائرًا أو عاجزًا، ويأبى العلماء والفلاسفة في كبرياء عقلي إعلان العجز فينكرون قضايا الدين التي عجزوا عن تفسيرها، ولأن الدين فطرة في النفس الإنسانية منذ بدء الخلق ولن يستطيع عالم أو مفكر أو فيلسوف أن يقتل تلك الفطرة في الإنسان.

وإن الخطر في استقواء العلماء بـ(**المنهج العلمي**) يكمن في إنكارهم عموم الكتب السماوية بلا موضوعية وحياد يخص بيئة معينة هي أوربا في زمان خاص هو القرون الوسطى، من رجال الدين حاربوا العلم، ثم عادت عليهم بمعاداة العلماء لرجال الدين وهم يستقوون بالمنهج العلمي، حتى أنكروا الكتاب المقدس، ثم عمموا الإنكار لكل الكتب السماوية، و يأبى القرآن تلك المحاربة للعلم أو معاداة الدين أو الاستقواء بالعلم. فماذا جنت البشرية من استقواء المنهج العلمي؟ هذا ما سنعرفه في المبحث التالي.

***

المبحث الثاني: **انتشار الإلحاد**

المطلب الأول: **تعريف الإلحاد**

إن العلماء تركوا الموضوعية العلمية وانقلبوا على عموم الكتب السماوية إذ عميت أبصارهم وأغشيت بصائرهم عن نور الحق وبرهان اليقين حين ذهلوا عن الوحي الصحيح حتى أثمرت خطاياهم الإلحاد ومبدأ عدم اليقين والتأزم البشري.

تعريف الإلحاد في اللغة: (**من الفعل لَحَد أي مال وجار، ولَحَد في الدِّين يَلحَد وأَلْحَدَ: مال وعدل، وأَلْحَدَ في الدِّين: مارى وجادل وحاد عن الدِّين وطعن فيه، والملحِد: العادل عن الحق المدْخِل فيه ما ليس منه، قال تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣]، قرئ يَلْحَدون أي يميلون إليه، ويُلْحِدون أي يعترضون، وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء، وبين الراغب معنى الإلحاد بتقسيمه إلى ضربين: إلحاد إلى الشرك بالله، وهو ينافي الإيمان ويبطله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، وهو يوهن عرى الإيمان ولا يبطله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥] أي بميل وانحراف**)[١]، وعرَّف إسماعيل أدهم[٢]، الإلحاد فقال: (**هو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم**)[٣]، وهذا يدل على تأثر بعض المسلمين بالتصورات الإلحادية التي طالت الغرب.

المطلب الثاني: **تضارب الملحدين**

إن التضارب بدا على العلماء وفلاسفة الغرب، حين أخذوا المنهج العلمي لإنكار قضايا الكتاب المقدس لتحريف وحيه وانقطاع سنده وذهاب أصله حتى تركوا اليهودية والنصرانية، لكن توغل واستفحال هذا المنهج أفرز إنكارا لقضايا الدين العليا، وأدى بهم إلى إنكار وجود الله رب العالمين والإلحاد، حيث قامت الأصول الفكرية للإلحاد على عاتق المنهج العلمي.

إن تمجيد المنهج العلمي للعقل أفرز إلحاد الكثير من المفكرين الغربيين، في مختلف مجالاتهم العلمية وتوغل في الكشف عن (قوانين الطبيعة المادية)، **نماذج للفكر الإلحادي**: أفادت الدراسات تتابع الفكر الإلحادي حيث (**شبه فولتير الفرنسي (١٦٩٤- ١٧٧٨م)[٤]، خلق الله للكون بتجميع صانع الساعات للساعة ثم انقطاع صلته بها بعد ذلك، ثم هاجم ديفيد هيوم الإسكتلندي (١٧١١- ١٧٧٦م)[٥] رب فولتير معلنًا أننا رأينا الساعات تصنع لكننا لم نر العالم يُخلَق، ورفض هيوم عقائد الدين زاعمًا عدم إمكان البرهنة عليها، لا بتجربة علمية ولا بعقل الإنسان، كما قامت فلسفة هيوم على عدم الثقة بالتأمل الفلسفي، ثم أعلن إنكاره وجود حياة أخرى يتحقق فيها العدل بالثواب والعقاب، وبعد الكشف عن**

---

(١) انظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، مادة (لحد)، (ص٤٤٨)، مرجع سابق.

(٢) إسماعيل أدهم: (١٩١١- ١٩٤٠م) فكرع إلحادي، ولد بالإسكندرية لأب ضابط بالجيش التركي تعلم بمصر والآستانة، نال الدكتوراه من الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٣٣، وتأثر بالمناخ المادي الماركسي هناك واقتنع به، انظر د. محمد عمارة في تمهيد قدمه لكتاب (حوار الإيمان والإلحاد) (ص٩- ١٥)، ط الأزهر الشريف، سنة ١٤٣٥هـ.

(٣) حوار الإيمان والإلحاد، نخبة من المفكرين والعلماء، (ص٥٨)، ط الأزهر الشريف، سنة ١٤٣٥هـ

(٤) فولتير، فرانسوا ماري آروويه: (١٦٩٤- ١٧٧٨) اشتهر بفولتير، كاتب وفيلسوف فرنسي عاش في عصر التنوير، عُرف بنقده الساخر، الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة، ودفاعه عن العقلانية والحريات المدنية، وخاصة حرية العقيدة، والمساواة وكرامة الإنسان، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الفاء- كلمة (فولتير).

(٥) ديفيد هيوم: (١٧١١- ١٧٧٦)، فيلسوف أسكتلندي أثر في تطور مدرستين فلسفيتين حديثتين، هما مذهب الشك، والمذهب التجريبي، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الهاء - كلمة (هيوم).

حفريات قديمة زعم داروين البريطاني (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢م)[١] مذهبه (النشوء والارتقاء)، ثم ظهرت المادية الجدلية على يد كارل ماركس (١٨١٨ـ ١٨٨٣م)[٢] ليعلن عن المادية في أقبح صورها، ثم جاء فردريك نيتشه الألماني (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م)[٣] وتحدث عن مشكلة الشر، ثم ظهر فرويد النمساوي (١٨٥٦ـ ١٩٣٩م)[٤] فزعم أن الدين مصدره اللاشعور لا الوحي، وزعم استحالة البرهنة على صحة الإيمان الديني وأنكر وجود الله)[٥]، إن هؤلاء الفلاسفة بين متخصص في الفلسفة والفكر الإنساني والطبيعة والاجتماع والاقتصاد والسياسة، لكن يجمعهم أمر واحد هو الإلحاد والتضارب مع النفس في معرفة الحقيقة، وتحللوا من ربقة الدين بفعل المنهج العلمي.

المطلب الثالث: مقولات راسل المتضاربة وتقييمها

لقد تنكب برتراند راسل(١٨٧٢ـ ١٩٧٠م)[٦] الحق فقال: **(إن الإنسان نتاج لأسباب عمياء لا تبصر سلفًا الهدف الذي تريد تحققه، وأصل الإنسان ونماؤه وآماله ومخاوفه وحبه وعقائده ليست سوى نتاج للانتظام العارض للذرات)**[٧]، وهذه المقولة لابد من تقييمها لبيان فسادها واختلاط قائلها، من ناحيتين:

الأولى: تلك مقولة راسل تناسب ميوله البحثية (**خاصة في مرحلة الشك**)؛ لأنه لم يثبت على مقولته، فقد اعترف بعجز عقله عن تفسير معنى الوجود، فقال: **(النظر للمذهب العقلي في الفلسفة عاجز عن تقديم تفسير سليم لمعنى الوجود الإنساني، فالعقلاني حين يستخدم نسقًا من المفاهيم يقدم أوصافًا عامة لا تصل لحقيقة التجربة الإنسانية الفردية)**[٨]، وذلك بعد نضج فكره وعقله مما أوقعه في التناقض مقولاته.

---

(١) تشارلز روبرت داروين: (١٨٠٩– ١٨٨٢)، باحث وعالم بريطاني عكف على دراسة علوم الطبيعة، اشتهر بنظرية النشوء والارتقاء، فقال: إن كل الأنواع الحية من نباتات وحيوانات قد تطورت تدريجيًا من أصول مشتركة خلال الملايين من السنين التي مرت عليها، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الدال – كلمة (داروين).

(٢) كارل ماركس: (١٨١٨– ١٨٨٣)، ألماني فيلسوف اجتماعي وثوري محترف، مؤسس حركتي (الاشتراكية الديمقراطية) و(الشيوعية الثورية)، وكان يقابَل ماركس بالتجاهل أو سوء الفهم من قبَل أنصاره، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الميم – كلمة (ماركس).

(٣) فريديريك نيشه: (١٨٤٤– ١٩٠٠) فيلسوف ألماني وشاعر، وعالم كلاسيكي تأثر به الفلاسفة والكتّاب وعلماء النفس في القرن العشرين تأثرًا شديدًا، وانتقد نيتشه (الدين) وأعلن في كتابه(هكذا تكلم زرادشت) (١٨٨٣– ١٨٨٥)، أن الرب قد مات . تعالى الله عما يصفون . وكان يعني بذلك أن الدين النصراني قد فقد معناه وسطوته على الناس ولم يعد يصلح لأن يكون أساسًا للقيم الخلقية، وكان يعتقد أن الوقت قد حان لأن ينظر الناس نظرة نقدية نحو قيمهم التقليدية ومصادر هذه القيم، فحاول إعادة القيم في كتابه(وراء الخير والشر)، ١٨٨٦، وكتابه (أصل الأخلاق) ١٨٨٧، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف النون – كلمة (نيتشه).

(٤) سيجموند فرويْد: (١٨٥٦– ١٩٣٩)، طبيب نمساوي حقق ثورة في الأفكار الخاصة بكيفية عمل عقل الإنسان، أسس نظرية سيطرة الدوافع غير الواعية على كثير من السلوك مما ساهم في توسيع مجالات علم النفس، قسَّم العقل إلى الهو والأنا والنا العليا، أما الذات العليا فتتحكم في السلوك الخلقي، وهي التمثيل العقلي لقانون أخلاق المجتمعات. وتهدف الذات العليا إلى الحدّ من السلوك القائم على دوافع الذات، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الفاء – كلمة (فرويد).

(٥) انظر د. عبدالرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوربي، (نيتشه)، (ص١٢٩)، مرجع سابق. وانظر د. أحمد عبدالرحمن إبراهيم، نقد الثقافة الإلحادية، (ص١٩– ٢٠)، ط مكتبة هجر بالقاهرة، سنة ١٩٨٥، وانظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (ص٣٧٦)، مرجع سابق.

(٦) برتراند راسل: (١٨٧٢ – ١٩٧٠م) الفيلسوف البريطاني، سبق التعريف به.

(٧) د. أحمد عبدالرحمن إبراهيم، نقد الثقافة الإلحادية، (ص١٩– ٢٠)، مرجع سابق وانظر د. محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث؟ (ص٧)، ط دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٢.

(٨) برتراندراسل، حكمة الغرب– الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة د. فؤاد زكريا، (٢/٢٥٠)، سلسلة عالم المعرفة عدد (٣٦٥)، سنة ٢٠٠٩.

الثانيـة: عـاش راسل حالـة حرجـة سياسيًّا واجتماعيًّا حيث عاصـر الحـرب العالميـة الأولـى (١٩١٤ـ ١٩١٨م)، والثانيـة (١٩٣٩ـ ١٩٤٥م)، حيث التعصب لــ(**المنـهج العلمـي**)، بعد انشطار الذرة وصناعة القنبلة الذرية وآثارها السيئة، مما دفع راسل لمقولته في بيئة مشابهة إلى حد كبير ببيئة (**جاليليو**) عندما قال مقالاته العلمية، حيث حرب الثلاثين (١٦١٨) حيث تعصب رجال الدين لــ(**المذهب الديني**)، فالبيئة بينهما واحدة هي (التعصب) الدافع للخروج عن المألوف والنظر في مسلمات الدين مع الفرق في (**التاريخ والعصر والأشخاص**).

الثالثـة: تـأثر راسل برينـان (١٨٢٣ـ ١٨٩٢م)[١]، حيث محاضرة السربون بفرنسا التـي طالب فيها بإثبـات الـدين عن طريق العلم، برغم قيام علماء الإسلام بالرد عليه، الإمـام محمد عبده (١٨٤٥ـ ١٩٠٥)[٢]، الرد عليه، في كتابه (**الإسلام دين العلم والمدنية**)[٣]، لكن مقالات رينان كان لها صدى في اتجاه راسل الفلسفي مما جرَّأه على القول بمقولته، متأثرا بالبيئـة الغربيـة المعاديـة لرجـال الـدين وكتـابهم المقدس.

وبصفة عامة إن الاتجاه الفكري لراسل –ومن على شكالته المنهجية من بعض العلماء والمفكرين - الإلحـاد القائم على دعاوى جوفاء لا يمكن تحقيقها ولا تقوم على قدم وساق، لأسباب منها: **أولا**: أن المدعي يتصف بالإلحاد العاصف بمصداقية الأحكام، **ثانيا**: تأثر المدعي ببيئته الغربية العامة الغافلة عن الحياد والموضوعية في الحكم، وهذا حجر على المطلوب. **ثالثا**: اختلاط تصور المدعي للقضية الدينية؛ لأنه إن ادعى عموم الكتب السماوية كان هذا تعميم للحكم مخالف للمنهج العلمي السليم لقيام الدين على (**الوحي**) وهو الإعلام في خفاء، مع نقله نقلًا متواترا موجبًا للعلم اليقيني بإثباته للرسول، فإن انقطع السند كما وقع لبعض الكتب السماوية فلا يدل على انقطاع سند القرآن الكريم. **رابعا**: اختلاط تصور المدعي لحقيقة العلم وموضوعه والمنهج العلمي، لأن موضوع العلم يختلف عن موضوع العلم، مما يدل على ضعف التصور والنقد للكتب السماوية، وتدخل الهوى في الحكم.

فكان ينبغي على أولئك الملاحدة من العلماء والفلاسفة العمل الحثيث على تحقيق أمرين:

الأول: مراجعة المقولات الإلحادية المعادية للدين السماوي قبل إقرارها مسلَّمة.

الثاني: البحث عن الدين الحق بموضوعية طلبًا للوصول إلى اليقين.

ونسائل هؤلاء هل اتفق العلم على أمر وأجمعتم عليه بلا اختلاف؟ سيجيب المبحث التالي على هذا التساؤل.

***

(١) آرنست رينان: (١٨٢٣– ١٨٩٢)، الفيلسوف الفرنسي سبق التعريف به.

(٢) الإمام محمد عبده: (١٨٤٩ – ١٩٠٥م)، ولد بقرية محلة نصر من محافظة البحيرة، درس بالأزهر الشريف، وتخرج فيه سنة ١٨٧٧ عين بمدرسة دار العلوم العليا، كرس جهوده للدفاع عن الإسلام، فخاض معارك فكرية مع جابرييل هانوتو، وآرنست رينان، وفرح أنطون، انظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، (ص٩٦٩– ٩٧١)، ط الأوقاف، سنة ٢٠٠٧.

(٣) انظر الإمام محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، (ص٩٥)، مرجع سابق، وانظر د. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (ص٨٨– ٨٩)، ط مكتبة وهبة، سنة ٢٠٠٥.

المبحث الثالث: ظهور دعوى عدم اليقين

المطلب الأول: عدم اليقين (تعريفه وأسبابه)

تعريف (عدم اليقين):

بعدما وثقت البشرية ثقة مطلقة لامحدودة في المنهج العلمي، فما بلغ العلم يقينًا إلا في البعض الظواهر المادية، وما ثبت على شيء بل تأرجحت نظرياته بين نفي وإثبات، وتعريف عدم اليقين هو: **(إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة، ويَقصُرها ألدوس هكسلي (١٨٩٤- ١٩٦٥م)** [1] **على إنكار معرفة المنطق، ويرى التوقف عن العلم)**[2]، فما أثبته عالم نفاه آخر، وما بناه فيلسوف هدمه آخر، إذن ماذا أورثت البيئة العلمية إلا ظنون حيث ظهر القائلون بـ **(عدم اليقين)**، كأثر لاستفحال المنهج العلمي بصورة بشعة، وأطلق على القائلين بهذه الفلسفة (اللاأدرية) وهي كلمة مكونة من: (لا) النافية، والفعل (أدري) أي أعلم فهو نفي الدراية، مع ياء النسبة.

أسباب ظهور (عدم اليقين):

من أسباب ظهور **(عدم اليقين)**، ما يلي:

أولا: تضارب نظريات العلماء: ففي مؤتمر باريس لعلماء الرياضيات (١٩٠٠م) صرَّح دايفيد هيلبرن (١٨٦٢- ١٩٤٣م)[3] بأنه **(لم يبق أمام العلماء سوى (٢٣) مسألة، بمجرد حلها ستكتمل معرفتنا بالكون)**[4] وهذه مقولة تدل على ثقة لا محدودة في العلم، فيا ترى هل ثبت العلماء على تلك الثقة أبدًا أم ضعفت تلك الثقة بمرور الأيام وتطور العلوم؟! وبالقطع هذه الثقة ضعفت لتضارب العلماء في نظرياتهم وتناقضهم مع أنفسهم يعد نوعًا من الإرهاص بظهور فلسفة **(عدم اليقين)**.

ثانيا: نسبية العلم: إن سمة العلم أنه لا يعرف الكلمة الأخيرة، ولا يعرف درجة **(اليقين)**، وأوضح ذلك العديد من الباحثين مثل المستشرقة أرمسترونج، والأستاذ مراد هوفمان (١٩٣١- ....)[5] فقال: **(في مجال العلوم الطبيعية وجدنا في القرن العشرين خليط من اللاأدرية والإلحاد.. واعترت العالم خيبة أمل في مجال من أنجح مجالات العلم الحديث (الفيزياء الحديثة) حيث ظهرت الفيزياء الحديثة على يد ماكس بلانك الألماني (١٨٥٨- ١٩٤٧م)** [6]**، وألبرت أينشتاين (١٨٧٩- ١٩٥٥م)**[7]**، لتحل محل فيزياء إسحاق نيوتن الإنجليزي (١٦٤٢- ١٧٢٧م)**[8]**، وفي الواقع أصبح العلماء على وعي أكثر بالمحدودية**

---

(١) ألدوس وهكسلي: (١٨٩٤– ١٩٦٥م)، ثائر على ازدياد نفوذ العلم في الحياة، مع أنه حفيد توماس هنري هكسلي (١٨٢٥– ١٨٩٥م)، أحد المتشددين في الدفاع عن نظرية النشوء والارتقاء، فالحفيد معتقد مبدأ عدم اليقين، وجده ملحد بالله مؤمن بالتطور، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الهاء، – كلمة (هكسلي).

(٢) انظر المعجم الفلسفي، (ص١٥٨)، وضع مجمع اللغة العربية، سنة ١٩٨٣.

(٣) دايفد هاليبرن: لم أقف له على ترجمة.

(٤) كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (٣٩٩– ٤٠٠)، مرجع سابق.

(٥) مراد هوفمان: سبق التعريف به.

(٦) ماكس كارل إيرنست: (١٨٥٨– ١٩٤٧)، فيزيائي نظري ألماني، تخصص في ظاهرة امتصاص الحرارة والطاقة الإشعاعية، اكتشف نظرية الكم (١٩٠٠)، وهي أصغر مقدار من الطاقة يمكن أن يوجد مستقلا، عندما وضع قانونه عن الإشعاع، وهي نظرية أحدثت ثورة في الفيزياء، وفي عام ١٩١٨م مُنح بلانك جائزة نوبل للفيزياء، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الميم – كلمة (ماكس بلانك).

(٧) ألبرت أينشتاين: (١٨٧٩– ١٩٥٥)، من أهم علماء الفيزياء في التاريخ، ذاع صيته بسبب نظرية (النسبية)، ساند الصهيونية فمنح رئاسة دولة إسرائيل (١٩٥٢)، لكنه رفض المنصب، كان أينشتاين مؤمنًا رغم أنه لم يرتبط بدين محدد؛ فكان يعتقد أن العالم لم يخلق بالصدفة، فالعالم بالنسبة له يسير بنظام دقيق وقانون محكم، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الألف – كلمة (أينشتاين).

(٨) إسحاق نيوتن: (١٦٤٢– ١٧٢٧م) عالم إنجليزي وفلكي إنجليزي، يعتبر أحد رموز الثورة العلمية، وأبرز من أسهم في الفيزياء والرياضيات عبر التاريخ، صاغ نيوتن قانون الجذب العام وقوانين الحركة التي سيطرت على رؤية العلماء للكون المادي للقرون الثلاثة

الكامنة في طبيعة الأبحاث الطبيعية)[1]، لأن العلم أوصل علماء رياضيون وفيزيائون أوربيون وأمريكيون إلى حالة من عدم اليقين (اللاأدرية) والتي أوصلتهم إلى حالة من التشاؤم من المستقبل.

المطلب الثاني: ميراث البيئة العلمية

لقد صارت نظريات العلم نفسه محط مراجعة، قال مراد هوفمان: **(صار النموذج الثقافي افتراضات أولية في مفاهيم ثقافة ما تحكم الأنشطة الاجتماعية والعلمية.. فلا يمكن معرفة الحقيقة المطلقة، مما شجع على ما يمكن تسميته بـ (أسطورية النسبية)، وبعيدًا عن اعتقاد اليقيني السائد في القرن الـ ١٩ بأن كل شيء يمكن معرفة حقيقته، فتشكك هؤلاء في إمكانية معرفة حقيقة أي شيء بدرجة كافية من اليقين)**[2]، فبعدما كان العلماء يمجِّدون المنهج العلمي ويعتبرونه سبيل اليقين بلا مراء غَدَا العلم نفسه بعد حين يمثل اضطرابًا وحيرة، مما أورث حالة من انعدام اليقين والثبات على شيء من العلم على سبيل القطع.

لاشك أن الإنسان وسط تلك الأحوال الخارجة عن إطار القيم الدينية المستمدة من الوحي الصحيح يضل عن سواء السبيل، هذا الضلال تحقق عند إلحاد العلماء وإنكارهم وجود الله تعالى إما متأثرين بالبيئة الغربية أو متأثرين بالمنهج العلمي أخرى حتى ألحدوا ليتسنى لهم حل ألغاز الكون بالمنهج العلمي فإذا بهم يقفون حيارى أمام أسرار الكون، ولم يثبت العلم على يقين، حيث تحيَّر العلماء واختلطت تصوراتهم لله تعالى.

إن تصورات العلماء تضاربت وخالفت الحقيقة فبينما كانت القرون السابع والثامن والتاسع عشر تنتشر فيها نظريات الإلحاد حيث **(تصور فولتير (١٦٩٤- ١٧٧٨)**[3]**، الله تعالى (ميكانيكيا)**[4]**، في القرن الثامن عشر، وتصور تشارلز داروين (١٨٠٩- ١٨٨٢)**[5]**، للحياة (بيولوجيا)**[6] **بنظرية (الانتخاب الطبيعي) في القرن التاسع عشر، كما تصور فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩)**[7]**، أن الدين مصدره اللاشعور فأنكر الدين بالكلية، ثم بعد تفتيت الذرة وتطور علم الفيزياء تصوَّر الفيزيائيون أن الله تعالى**

التالية، كما أثبت أن حركة الأجسام على الأرض وحركة الأجسام السماوية يمكن وصفها وفق نفس مبادئ الحركة والجاذبية، وعن طريق اشتقاق قوانين كبلر (١٥٧١- ١٦٣٠م) من وصفه الرياضي للجاذبية، أزال نيوتن آخر الشكوك حول صلاحية نظرية مركزية الشمس كنموذج للكون، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف النون - كلمة (نيوتن).

(١) مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ترجمة عادل المعلم، (ص٣٥- ٣٦)، بتصرف واختصار، ط مكتبة الشروق الدولية، سنة ٢٠١١، وانظر كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، (٤٠٣)، مرجع سابق، وانظر شوقي جلال، العقل الأمريكي يفكر- من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات، (ص١٣٥- ١٣٧)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٠.

(٢) انظر مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (ص٣٨)، المرجع السابق.

(٣) فولتير: سبق التعريف به.

(٤) الميكانيكا: علم يدرس ظواهر الحركة بطريقة عقلية مع قياسها وكيفيتها وتحديد الحركات والمقاومات مستعينا بالأعداد، وهو علم التطبيق الأول للبرهان الرياضي على الدراسة الكمية والعلية للظواهر الطبيعية، انظر د.عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، (٤٤- ٤٦)، مرجع سابق، وانظر موسوعة الحضارة الإسلامية، (ص٦٨٧)، ط القاهرة، سنة ٢٠٠٥.

(٥) تشارلز روبرت داروين: (١٨٠٩- ١٨٨٢) باحث وعالم بريطاني عكف على دراسة علوم الطبيعة، اشتهر بنظرية(النشوء والارتقاء) كان داروين يقول: إن كل الأنواع الحية من نباتات وحيوانات تطورت تدريجيًا من أصول مشتركة خلال ملايين السنين. في كتابه (أصل الأنواع) ١٨٥٩، أحدثت نظريات داروين صدمات عظيمة للمؤمنين من الناس الذين يؤمنون - ومازالوا- بأن الله خلق كل نوع من الكائنات الحية بطريقة مستقلة عن غيرها، وقد أثار كتابه (أصل الأنواع) ردود أفعال مشتملة على تشكك في العقائد السماوية، في حين أحدثت هذه النظرية حركة في علم الأحياء ودراسته، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الدال- كلمة (داروين).

(٦) البيولوجيا: كلمة يونانية تتكون من مطقعين: (بيو) تعنى حياة، و (لوجيا) ويعنى علم ودراسة الحياة والطبيعية بأشكالها المختلفة ووظيفتها كيفية تفاعل الكائنات الحية مع بعضها، والبيئة المحيطة بها، موقع ويكبيديا، وكان الدخول عليه يوم ١١/ ٣/ ٢٠١٧.

(٧) سيجموند فرويد: سبق التعريف به.

(طاقة وقوة) في القرن العشرين) [1] تلك ظنون علماء الكون في استدلالاتهم على الإله وعقائد الدين فضلُّوا وأضَلُّوا لأن تصوراتهم لله تعالى تنافي الحق.

من ناحية أخرى فإن القرن العشرين شهد العديد من إقرارات علماء الكون بوجود الله تعالى من هؤلاء: **(الفيزيائي الألماني ماكس بلانك (١٨٥٨- ١٩٤٧)** [2]**، قال: (يظهر الله للمتدينين في بداية تفكيرهم أما عند علماء الطبيعة فيظهر في ختام تفكيرهم)، وعالم الطبيعة الأمريكي ألبرت أينشتاين(١٨٧٩- ١٩٥٥)** [3]**، قال: (العلم بدون الدين كسيح والدين بدون العلم أعمى)، كما أن الفيزيائي الأمريكي تشارلز هارد (١٩١٥- ....)** [4]**، قال: (لست أرى صعوبة في الجمع بين العلم والإيمان الديني، فأنا شخصيًا أعتبر العلم جزءًا من الدين)، وحينما سئل الطبيب الأمريكي ألبرت بروس سابين (١٩٠٦ – ١٩٩٣)** [5]**، عن العلاقة بين العلم والدين فقال: (إن العلم وسيلة في فهم أسرار الكون، وكلما استخدم الإنسان المعرفة المقدمة من العلم تزداد نظرته للحياة عمقًا ويزداد خشوعًا ويصل للإيمان))** [6]، فبعدما أنهك العلماء البحث أقروا بضرورة الاعتراف بالله تعالى وعلموا أن الحق لله، وإننا لنكتفي بهذا الإقرار دليل على عجز المنهج العلمي للوصول إلى الحقيقة، سواء أكان إقرارهم بالعجز برؤية الجمع بين الدين والعلم مرة ثانية أو برؤية أشمل للكتب السماوية أيا كان الحال فإننا نعُدّ هذا الإقرار اعتراف بالعجز العلمي في القرن العشرين، وإقرار بضعف الإنسان على كل حال بغير هداية الله تعالى وتوفيقه وعونه.

لذلك فمن الممكن القول: إن الكثير من مقولات العلم أوهام وظنون لا ترقى إلى مصاف الحقائق العلمية وهذا قول يصدقه العلم نفسه، فمن الواجب طرح مقولات (**الاستقواء بالمنهج العلمي والشك والإلحاد والتفكير العقلاني المحض**) وتركها بالكلية، لأنها سلعة نافقة، كما تأكد لدينا أن العلم بنظرياته مجرد ظنون وأوهام مكتوبة، فما من عالم إلا وينفي ما أثبته غيره من العلماء السابقين، أما الكتاب صحيح النسبة ثابت الصلة بالله تعالى بوحيه فهو الآمر بالنظر والتفكير في الكون، حيث يزيد الإنسان إيمانًا كلما كشف له الكون عن أسراره، **﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]**، فهل تمسك الإنسان بتلك الحقيقة أم ضاعت منه فضاعت قيمته بضياع حقيقة رسالته في الحياة وعلاقته بالكون؟ هذا مجال الفصل القادم.

***

---

(١) انظر د. يحيى هاشم فرغل، الإسلام والاتجاهات العلمية الحديثة، (ص٣٦-٤٠)، وانظر أيضا (ص١٤٧- ١٥١)، بتصرف واختصار، ط دار المعارف، سنة ١٩٨٤، وانظر د. أحمد عبدالرحمن إبراهيم، نقد الثقافة الإلحادية، (ص١٩)، مرجع سابق.

(٢) ماكس كارل إيرنست: (١٨٥٨- ١٩٤٧)، سبق التعريف به.

(٣) ألبرت أينشتاين: (١٨٧٩- ١٩٥٥)، سبق التعريف به.

(٤) تشارلز هارد: (١٨٧٩- ١٩٥٥)، لم أقف له على ترجمة.

(٥) ألبرت بروس سايين: (١٩٠٦ – ١٩٩٣م) باحث في الطب أمريكي، عرف بتطويره لقاح شلل الأطفال، انظر د. يحيى هاشم حسن، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، (ص١٦٠)، مرجع سابق، وانظر وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ترجمة ظفر الإسلام خان، (ص٤٨)، كتاب المختار الإسلامي، سنة ١٩٧٦.

(٦) انظر د. يحيى هاشم حسن، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، (ص١٥٧- ١٦٣)، ط دار المعارف، سنة ١٩٨٤، وانظر مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، (ص٤٣)، مرجع سابق.

الفصل الثالث

الأزمة ومعالجة الحل

ويتكون من ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: الاعتراف بالأزمة.

المبحث الثاني: تقديم الحل والعلاج.

المبحث الثالث: منهج العلم البشري في ميزان القرآن.

المبحث الأول: الاعتراف بالأزمة

أدرك العلماء الأزمة الحضارية التي تعيشها البشرية بسبب الخطأ المنهجي المتَّبَع، فقاموا بتوصيف الأزمة، لكن اختلف توصيف العلماء بحسب ثقافتهم بين الشرق والغر ب، وسوف أعرض لذلك ومنه ما يلي:

المطلب الأول: توصيف علماء الغرب لأزمة البشرية

قام العديد من علماء غربيين بتوصيف أزمة الحضارة التي أفرزها المنهج العلمي المستقوي على الدين منذ الثورة العلمية وحتى عصر البخار والتقدم الصناعي، مثل توماس كارليل الاسكتلندي(١٧٩٥-١٨٨١)[١] الذي ألف كتابه (**الإنسان ذلك المجهول**)، ليحاول العمل على استعادة الاعتقاد الديني إلى مكانته مرة أخرى، أكبر شاهد على الاعتراف بالضعف الإنساني.

كما (رأى **سبنجلر الألماني**[٢] **أن الثقافة الغربية الأوربية تعاني سكرات الموت وحان موتها، فقال: (الثقافة الغربية بلغت دور النضج، وما بعد النضج إلا الانحطاط والانحلال وانهيار الثقافة والمجتمع والثقافة الغربية)، واتفقت رؤية تيرم سوركن**[٣] **معه في أن عالم الثقافة الغربية الآن يضرب في الظلام حتى يصدع فجر الثقافة الروحية وتملأ أضواؤه الآفاق، لكنه تفائل حين رأى أنها سحابة صيف سرعان ما تنقشع ويحل الخير والنماء)**[٤]؛ لأن الثقافة لا تموت، وأن هذا سيتلوه تكوين صورة جديدة للثقافة الغربية.

الغرب تنبه الغرب إلى ضياع قيمة الإنسان بسبب مناهجه المنحلة، لأن برتراند راسل اختزل قيمة الإنسان في حضارة العلم، فقال: (**إن تأثير العلم على مكانة الإنسان في نوعين متعارضين فلقد انحط به وعلا في الوقت نفسه**)[٥]، فقد اعترف الغرب بقيمة الإنسان الضائعة والسبب في ذلك فساد المنهج العلمي الذي انحرفت البشرية معه وبه عن سواء السبيل، لأن الوقوف على قيمة الإنسان الحقيقية مع التقدم العلمي الحضاري والتكنولوجي أنها قيمة ضائعة، وتلك أزمة تعانيها البشرية اليوم.

المطلب الثاني: تقييم توصيف علماء الغرب لأزمة البشرية

إن توصيف علماء الغرب لأزمة البشرية يعروه النقص في أمور:

الأول: اعتراف الغرب بالأزمة لكنهم لم يبينوا أن سببها الأول هو التسليم المطلق للمنهج العلمي مع الاستقواء به على الدين سرُّ الأزمات الكبرى، لأن الانتقالَ بالمنهج العلمي من ثورة لأخرى دون الاعتراف بالله أو البحث عن الوحي الصحيح هو السبب الرئيس في وقوع الغرب وحضارته في المنهجية المادية الملحدة مع انعدام اليقين وضياع قيمة الإنسان على مدى العصور وترك الإيمان بالله تعالى.

---

(١) توماس كارلايل: (١٧٩٥- ١٨٨١)، فيلسوف ومؤرخ وناقد اسكتلندي، ولد لعائلة كالفنية بروتستانتية متدينة، ظل مؤمنا بمبادئه الدينية، وكانت أعماله مؤثرة في عصره درس بجامعة أدنبره فدرس اللغة والفلسفة الألمانية، له كتاب الأبطال، انظر مقدمة المعرِّب محمد السباعي، (ص٧)، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠٩.

(٢) أوسفالد أرنولد سبنلجر: (١٨٨٠- ١٩٣٦)، مؤرخ وفيلسوف ألماني اهتم بالرياضيات والعلم والفن، عرف بكتاب (انحدار الغرب)، ترجم للعربية باسم (تدهر الحضارة الغربية)، عرض فيه لنظرية سقوط الحضارات الذي يتم بشكل دوري، وحدد فيه عمر الحضارات، وتأثر في ذلك بابن خلدون (١٣٣٢- ١٤٠٦)، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف السين- كلمة (سبنجلر)، وبالألمانية (شبنجلر).

(٣) تيرم سوركن: رئيس دائرة علم الاجتماع بجامعة هارفارد، ألف كتاب أسماه (أزمة عصرنا)، ترجمه د. أحمد علي.

(٤) انظر د. أحمد عبدالرحمن، نقد الثقافة الإلحادية، (ص٢٢)، مرجع سابق، وغير ذلك من أقوال المفكرين، انظر أنورالجندي، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، (٧/ص١٨٠- ١٨٣)، سابق، وانظر برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع، (ص١٩- ٢٤)، سابق.

(٥) برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع، (ص١١)، مرجع سابق.

الثاني: أنانية التوصيف الغربي وتصوره الأزمة اللاحقة بحضارتهم الغربية دون الإشارة أو اهتمام بما يطال كوكب الأرض الناجم عن تلوث الطبيعية في برها وبحرها وجوها أو ينال بقية البشر من آثار التقدم العلمي.

الثالث: التناقض مع النفس ففي حين ينقدون الكتاب المقدس لكنهم قطعوا أية صلةٍ للأزْمة البشرية بتحريف مفهوم وحيه، مع أن ذلك سر الإشكالية الكبرى منذ انفجار شرارة الثورة العلمية في القرن الخامس عشر، لكنهم أنكروا تلك الصلة من الأساس، فتناقضوا مع أنفسهم فكيف تنقدون الكتاب المقدس ثم تعظمونه بينكم؟!

على أية حال فإن توصيف علماء الغرب لأزمة البشرية تبين رؤيتهم التي تدور بين الشتاؤم والتفاؤل، لكن المتفق عليه هو الإجماع والإقرار والاعتراف بأزمة حضارية واقعة بالفعل من آثار المنهج العلمي بعدما لاقت البشرية من الضرر والعنت من التقدم العلمي على الإنسان، خاصة بعد صناعة القنبلة الذرية التي تعد ضحاياها بآلاف القتلى والجرحى، مما يدل على انحسار ثقة العلماء التجريبيين في العلم، جراء تنكر المنهج العلمي لقيم الإيمان والخلق، حيث بلغ الإنسان هذا الحد من الضياع بسبب أساليب الحياة الشاردة عن المنهج الرباني الذي كرَّم الإنسان واعتبره خليفة الله في الأرض، لكنهم لم يقفوا على علاج تلك الأزمة.

المطلب الثالث: توصيف علماء الإسلام لأزمة البشرية

لقد قدم العديد من علماء الإسلام وباحثيه توصيفات لأزمة البشرية وقد اخترت ما تقدَّم به الدكتور رشدي فكار (١٩٢٨- ٢٠٠٠م)[١]، من توصيف أزمة البشرية، حيث وَصَل إلى ما يلي:

<u>الأولى: متناقضات الحياة من مظاهر أزمة البشرية</u>: فصّل الدكتور رشدي فكار حديثه عن متناقضات حياة البشر من مظاهر الأزمة اليوم فقال: (**تلوث الإنسان في جسده بالكيماويات في صورة الأدوية، وتلوث في عقله بالمخدرات، وتلوث بالإيدز بعد أن تجاهل الإطار القيمي فضلا عن تجاوزه للمبادئ الروحانية الخالدة لتصبح في خدمة غرائزه يكيفها حسب شهوته، وجفَّت فيه المشاعر العميقة حين أصبح جزءا من آلية العصر، وهو في الواقع يسدّد لكشف حسابات مغلوطة أصبحت ثمنًا لتفوقه وتمرده الذهني، إنه إنسان حضارة الغرب، فبقدر ما يحسب لحضارة الغرب ما حققته من تفوق بقدر ما يحسب عليها ما أحدثته من خسران، حضارة السابح في الفضاء المتنزه على القمر المتحكم في المعرفة بالكمبيوتر، حضارة الدماء في الحرب العالمية الأولى والثانية، فهي <u>حضارة العقل أفرزت اللامعقول</u>، حضارة مصادرة الإنسان باسم الارتقاء بإنسانيته**)[٢]، تلك متناقضات يعيشها الإنسان وتسبب له أزمة حقيقية، فالإنسان بات مهمّشًا حياته الدينية وسط تلك المتناقضات غير مشارك في الحياة، مبينًا السبب في تلك الأزمة من تفوق حضارة الغرب في الآلة والمادة وإخفاقه في الدين والخلق.

<u>الثانية: الإنسان آلة مع التقدم العلمي</u>: أوضح الدكتور رشدي فكّار ذلك فقال: (**إن التقدم التكنولوجي والعلمي والصناعي آل في النهاية بالإنسان إلى ما يشبه (الآلة الصماء) التي افتقدت أبسط مظاهر الإنسانية، مع أنها واعية ولكن بوعي شقى لما تعانيه، وهي في قمة مجدها تجسّد قمة معاناتها بعد أن استلبت بزخارف الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ**

---

(١) رشدي فكار: (١٩٢٨– ٢٠٠٠م)، مفكر إسلامي وعالم لغوي وشرعي، يمثل مدرسة فكرية إسلامية تحسن التعامل مع الغرب، ولد بقرية الكرنك بقنا من صعيد مصر، حفظ القرآن مبكرًا وبحكم تكوينه القروي نشأ على القيم والخلق الحميد وحب الخير للجار أيا كان معتقده وانتماؤه العرقي، حصل على دكتوراه في الفلسفة من باريس، وعمل أستاذا زائرا بجامعة محمدالخامس بالمغرب، أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات عديدة، تُوُفِّي سنة ٢٠٠٠ بالمغرب إثر أزمة قلبية مفاجئة، انظر سيرته بكتابه نهاية عمالقة الغرب، (ص١٤١– ١٤٥)، ط مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٩.

(٢) انظر د. رشدي فكار، نهاية عمالقة في حضارة الغرب، (ص١٣٦– ١٣٧)، المرجع السابق.

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس: ٢٤]، فحدد القرآن لنا ما يداخل الإنسان من غلو المكابرة والاستكبار)[1]، فأرجع فكار الأزمة إلى تلك الحالة التي أخبر عنها الله تعالى.

<u>الثالثة: التمرد على الوحي</u>: تلك نتيجة ثانية يصل إليها فكار، فقال: (**النهاية لعمالقة تمردوا بوعي على وحي السماء لاستبداله صراحة أو ضمنًا بفلسفة الإنسان فكان ما كان من تأزُّمٍ للعقل واستلاب للإنسان، وصدق الله حين قال: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٢٨]**)[2]، أي ضعيفًا مهما اتسع علمه، وسبب ضعفه انصرافه -قصدًا أو ذهولًا منه- عن الوحي الصحيح الثابت، وبذلك تنبه العالم المسلم إلى مكمن الخلل وأشار إلى علاجه والمخرج منه.

المطلب الرابع: تقييم توصيف فكّار لأزمة البشرية

تتضح رؤية العالم المسلم الدكتور فكَّار – رحمه الله - لأزمة البشرية في تصور علاقة العلم بالدين باعتبار أن الدين أسمى من العلم، فلا يمكن إنزال الدين إلى مستوى المضاربات المعملية المخبَريّة لتغيرها بتغير الأزمنة، وإن النتيجتين اللتين توصل إليهما الدكتور فكَّار أكدهما الواقع، فقد وصَّف أزمة البشرية بالرجوع للمشكلة الأساسية المتمثلة في ترك مبادئ الوحي (القرآن الكريم)، فهو أوثق وحي باق في البشرية، بعدما حَرَّفت الكنيسة وحي (الكتاب المقدس)، وقد ذهل علماء الغرب عن تلك المشكلة الأساسية، فلم يستطيعوا طلب العودة للكتاب المقدس لما وجهت إليه من انتقادات جذرية.

ولابد للموازنة بين هذين التوصيفين لأزمة البشرية من (**معيار علمي**[3] **متوازن بين العلم والإيمان الديني الصحيح**)، وإن أوثق كتاب سماوي متفق مع حقائق العلم هو القرآن الكريم، فينبغي أن يطرح تساؤل هو: (**أي هذين التوصيفين أقرب إلى الرؤية القرآنية في معالجة الأزمة البشرية؟**) وذلك لأن الرؤية القرآنية هي الأقرب للموضوعية والمنهجية العلمية، وسوف يتضح ذلك في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

***

---

(١) د. رشدي فكار، نهاية عمالقة في حضارة الغرب، (ص١٣٩)، المرجع السابق.

(٢) د. رشدي فكار، نهاية عمالقة في حضارة الغرب، (ص١٤٠)، المرجع السابق.

(٣) المعيار العلمي: سبق التعريف به.

المبحث الثاني: الحل والعلاج

المطلب الأول: توطئة

بيان الهداية القرآنية واجبٌ دَعَوِيّ:

إن من واجب دعاة الإسلام عرض وصف القرآن لأزمة البشرية لأنه كتاب هداية للبشرية كلها، بحكم القدر المشترك من تعارف الإنسانية، عملا بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[الحجرات: ١٣]، فقد استقرَّت كلمة علماء الإسلام على أن القرآن كتاب هداية، يبلغها المؤمن تصديقًا وتسليمًا وانقيادًا لأمر الله، قال العلامة الزرقاني: (**إن القرآن في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم، وفتح عيونهم إلى الكون وما فيه من سماء وأرض وبر وبحر وحيوان ونبات وخصائص وظواهر ونواميس وسنن، وكان حديثه عن تلك الكونيات حديث العليم بأسرارها الخبير بدقائقها المحيط بعلومها ومعارفها**)[1]، فلم ينكر علماء الإسلام على طالب الهداية النظر في الكون.

شمولية مفهوم العلم في الإسلام:

قد أخذ علماء الإسلام شمولية مفهوم العلم في الإسلام من طريقين، هما:

الطريق الأول: القرآن الكريم ذاته: إن شمولية مفهوم العلم مستمد من القرآن، قال تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[الحديد: ١٧]، كما تبدو علاقة القرآن بعلم الأكوان في الحث على تحصيل علوم الأرض، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأنبياء: ٣٠]، قال الزمخشري: (**فإن قيل: متى رأوهما (رَتْقًا) حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت فيه وجهان: الأول: لإقامة خبر القرآن مقام المرئي المشاهد. الثاني: أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل، فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه**)[2]، والآية الكريمة جمعت بين طلب العلم وتحصيله وبين طلب المشاهدة، لأن فعل الرؤية يأتي بمعنى المعاينة والمشاهدة كما يأتي بمعنى العلم[3]، أي ألم يعلم الذين كفروا، ففي الآية حثٌّ على انتهاج المنهج التجريبي، وفي قول الزمخشري رحمه الله تعالى ما يدل على ذلك، ولفت وحي القرآن أنظار البشر للهدف الأساسي من ذلك المنهج وهو تحقيق الإيمان بالله (**أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**)، وقد فهم علماء الإسلام تلك الثنائية الدالة على شمولية العلم في القرآن الإيمان والعلم المشاهد، وعلى هذا النسق الكثير من آيات القرآن المتعلقة بسنن الله تعالى الجارية في الأنفس والآفاق.

الطريق الثاني: شمولية العلم ذاته في التصور الإسلامي: إن مفهوم العلم البشري في الإسلام له تعلقات عدة فهو علم **بديهي** لا يحتاج لدليل كالمسلمات والمقدمات الأولية، وهو علم استدلالي بالنظر والمقايسة، وهو علم ضروري تنتجه الضرورة[4]، وهو كسبي بالعقل يتعلق بالنظر والتفكر ومثاله العلم بحدوث العالم، أو يتعلَّق بالتجربة والحس والمشاهدة، أو يتعلق بالسمع كالعلم بوحي القرآن والسنة وهو

---

(١) الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/ ٢٦)، مرجع سابق.

(٢) الإمام الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، (٢/ ٥٧٠)، مرجع سابق.

(٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، (ص٤٩٩)، ط مكتبة دار التراث، سنة ١٩٧٣.

(٤) الضرورة والاحتمالية: قانون منطقي يقوم بفحص مفاهيم الاحتمال والضرورة المتعلقة بالحقائق ذات الضرورة الثابتة والحقيقة الطارئة، مثل وجود ٩ كواكب في النظام الشمسي (حقيقة طارئة)، فقد يكون كوكب عاشر أو لا يكون، ومثل (٢+٢= ٤) (حقيقة ثابتة)؛ لأنها لا يمكن أن تكون غير ذلك، وبإمكان إدراك الشيء من خواصه الذاتية، فإن كان للشيء خاصية معينة ذات أهمية ثابتة حقيقية فالفلاسفة يسمون تلك الخاصية بـ(الخاصية الضرورية)، انظر الموسوعة العربية العالمية، حرف الميم – كلمة (الميتافيزيقا)، قلت: إن المسلمين لم يغفلوا التفرقة بين الخواص الذاتية والثانوية الفرعية، ولم يغفلوا (الضرورة) كمفهوم أساسي ومقدمة أوَّلية تنتج حُكمًا.

علم (**نظري**) و(**عملي**)، يتعلق بعمل وممارسة، وقد سبقت الإشارة لتعلقات العلم[1]، هذه تعلقات العلم يؤكدها القرآن إذا اتصلت بقيم الكتاب والسنة المطهرة، ويثمّنها بالأمر بها والبحث عنها.

إذن شمولية مفهوم العلم في الإسلام تطابقت مع وحي القرآن الكريم، ومع شمولية مفهوم العلم فيما يلفت أنظار علماء الكون والطبيعة إليه في جميع مجالات العلوم، باعتبارها شاهدًا ناطقًا بعظمة الخالق تعالى حتى يهتدي بها الإنسان ويعترف بأنعم الله تعالى عليه، وشمولية مفهوم العلم في الإسلام جعلت العلماء المسلمين لا يشعرون بمصادمة الإسلام لهم، من هنا فإن الرؤية القرآنية المعالجة للأزمة البشرية شملت توصيف الأزمة من ناحيتين:

الناحية الأولى: علاقة الإنسان بالكون، **الناحية الثانية**: علاقة الإنسان بالمنهج العلمي، وللقرآن في كل من الناحيتين توصيف للأزمة ووضع للحل والعلاج.

المطلب الثاني: معالجة أزمة البشرية المتعلقة بعلاقة الإنسان بالكون

أنزل الله القرآن على قلب سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ أربعة عشر قرنًا قبل ظهور المنهج العلمي بمفهومه الغربي وما ترتب عليه من آثار، ومع هذا نجد توصيف القرآن الكريم لأزمة البشرية الموجودة اليوم وبيان أسبابها التي أوقعتها في الحيرة والاضطراب، في غاية الإحكام يهدي لأقوم سبيل من خلال حلول بالغة حد الإعجاز في التوصيف والحل، لتوفر أمرين فيه:

أولا: موضوعية توصيف القرآن للأزمة:

إن موضوعية وصف القرآن للأزمة تبدو في ملابسة الوصف للواقع حيث قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[الروم: ٤١]، فوصف عمق الأزمة البشرية في فساد الكون كله بكسب البشر، قال الطاهر ابن عاشور : (**أطلق الظهور على حدوث حادث لم يكن، فشبَّه ذلك الحدوث بعد العدم بظهور الشيء الذي كان مختفيًا، وصيغة الفعل (ظَهَرَ) على حقيقتها، فيكون إشارة إلى فساد مُشاهَد أو محقَّق الوقوع**)[2]، فإن فساد[3] الكون ومظاهره مسبب عن فساد كسب[4] البشر مع سوء فهم حقائق الكون، مبينا العلاقة القويمة بالكون؛ لذا أوضح القرآن علاقة الإنسان بالأكوان في آياته البينات.

ثانيا: كمال منهج القرآن المعالج لأزمة البشرية:

إن كمال منهج القرآن المعالج لأزمة العلاقة بالكون يبدو في اشتمال رؤية القرآن المعالجة على بيان أمور ثلاثة تُحقق إيمان الإنسان بالله مع نظره في الكون ليستدل بالخلْق المنظور على الخالق تعالى هي:(**رسالة الإنسان في الحياة، وتدرج نظر الإنسان في الكون، والأجوبة على أسئلة الوجود**)، وسوف أفصل تلك الأمور الثلاثة فيما يلي:

الأمر الأول: القرآن ورسالة الإنسان في الحياة: إن القرآن ذكَّر الإنسان بحاله قبل الإيجاد، فقال تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾[الإنسان: ١]، فقوله: (**لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**) عند الناس، وهو في علم الله معلوم بالتحديد، ثم **بيَّن** القرآن رسالة الإنسان في الحياة، فقال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[البقرة: ٣٠]، ليضع الإنسان أمام مسئوليته في الحياة الدنيا.

الأمر الثاني: القرآن وتدرج نظر الإنسان في الكون: أمر القرآن الإنسان بالنظر على سبيل التدرج ، فأمره بالنظر في نفسه فقال: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ**﴾[الطارق: ٥]، ثم أمره بالنظر في شئون حياته، فقال تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾[عبس: ٢٤]، ثم جمع بين النظر في الأرض والنفس، فقال:

---

(١) وقد سبقت الإشارة إلى تلك التعلقات للعلم عند التعريف بالعلم، وقد ألم بها العلماء، انظر الجرجاني، التعريفات، (ص٢٠٠)، سابق، وانظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص٣٤٣)، سابق، وانظر أبوالبقاء الكفوي، الكليات، (ص٥٢٥)، سابق.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢١/ ١١٢)، ط الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٤.

(٣) الفساد: زوال الصورة عن المادة بعد ان كانت حاصلة، انظر الجرجاني، التعريفات، (ص٢١٤)، مرجع سابق.

(٤) الكسب: اجتلاب نفع أو دفع ضر، ولا يوصف فعل الله تعالى به، انظر الجرجاني، التعريفات، (ص٢٣٦)، المرجع السابق.

﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ* وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[**الذاريات: ٢٠- ٢١**]، ثم أمره باختصاص النظر في الكون عُلْوِيِّه وسُفْلِيِّه، فقال تعالى: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[**يونس: ١٠١**]، ثم ضمن الله معونة من يمتثل الأمر بالنظر فقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ**﴾[**فصلت: ٥٣**]، وبذلك رفع الله من شأن العلماء المستدلين بالخلق على الخالق، إذ أراهم الله آياته وعلَّمهم ما لم يعلموا وكشف لهم مستور سنن كونه.

الأمر الثالث: أجوبة القرآن على أسئلة الوجود: هناك أسئلة الوجود المحيرة للفلاسفة والعلماء على مدى تاريخ البشرية قد أجاب القرآن عنها، وهي:

أولا: السؤال عن سببية الوجود (**لماذا خُلِقت؟**) أجاب القرآن عنه في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[**الذاريات: ٥٦**]، وقوله: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [**هود: ٦١**]، فحدَّد القرآن للإنسان رسالة الإنسان المزْدَوجة من العبادة والعمارة.

ثانيًا: السؤال عن كيفية الخلق (**كيف خُلِقت؟**) أجاب القرآن عنه في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[**المؤمنون: ١٢- ١٤**]، وهذا لم يكن للبشرية علمٌ به، إلا منذ قرابة خمسين عامًا مضت، وقد نبّأ القرآن عنه منذ أنزل على قلب سيدنا محمد.

ثالثًا: السؤال عن المصير بعد الموت (**إلى أين المصير؟**) أجاب القرآن عنه في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى**﴾[**العلق: ٨**]، لأن المرجع إلى الله تعالى يوم القيامة، وربما طغى الإنسان أثناء حياته لاستغنائه بالكفاية، قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى**﴾[**العلق: ٦- ٧**]، فمن طغى فقد عرّض نفسه للكفر بأنعم الله عليه، قال تعالى: ﴿**قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ**﴾[**عبس: ١٧- ٢٢**]، فهذه قصة الإنسان من مبتدئه حتى منتهاه، فنظر الإنسان في أصله مع استعداده لرحلة الحياة الدنيا، ليجتاز اختبار الموت بسلام ثم البعث يوم النشور.

تلك الرؤية القرآنية والمنهج المعالج لأزمة البشرية في علاقتها بالكون حققها القرآن بينما غفلت عنها الكتب السماوية السابقة، فكان الأولى بعلماء الكون بعد النظر في الكتاب المقدس القيام بالتوجّه بالنظر في وحي القرآن، أو المقارنة بحيادية بينها كلها من حيث بيان تلك الأمور الثلاثة وعلاقتها بالكون للوقوف على الحق المنشود.

المطلب الثالث: أزمة البشرية المتعلقة بالمنهج

إن المناهج البشرية التي سلكها العلماء والفلاسفة موسومة بسمة واضعيها وهم بشر يتسم بقصور التصور واختلاط الفهم والرؤية، لذلك أرسل الله رسله وأنزل كتبه لإرساء المنهج الرباني الباقي ببقاء القرآن منهجًا نقيًّا لم يُشَب، وسوف نقف على توصيف القرآن لأزمة البشر المتعلقة بالمنهج – قدر الجهد – ومعالجة كتاب الله له البالغة حد الإعجاز في التوصيف والحل، لتوفر أمرين فيه:

أولا: موضوعية وصف القرآن للأزمة:

إن موضوعية وصف القرآن لأزمة المنهج تبدو في ملابسة الوصف للواقع، حيث وصف القرآن أزمة البشرية في ركونها للمنهج العلمي[1] مبينا لطبيعة هذا المنهج من الاستقواء بالحس والمشاهدة والتجربة، لطروء الخطأ عليه، فقال تعالى: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [**الروم: ٧**]، ففي الآية الكريمة وصفان لأزمة المنهج العلمي: **الأول:** كونه علمًا بظاهر الحياة الدنيا، فإن تنبه لجانب غفل عن آخر، وإن تنبه لفئة ذهل عن آخرين. **الثاني:** الغفلة عن الآخرة غاية الأبد والنعيم السرمد، ويركن للحس مع الغفلة عما وراءه من الغيبيات والغفلة عن أن للكون خالقًا أبْدَع خلقه

---

(١) المنهج التجريبي: سبق التعريف به.

ومدبّرًا دبَّر أمره، تلك الحقيقة الراسخة الثابتة التي ينكرها المكابرون والمغالطون الظالمون لأنفسهم وأتباعهم والبشرية كلها مدى الدهر.

ثانياً: **كمال منهج القرآن المعالج لمناهج البشرية**:

يبدو كمال منهج القرآن المعالج لأزمة علاقة الإنسان بالمنهج في اشتمال رؤية القرآن الكريم المعالجة لأزمة المنهج العلمي على بيان أمور ثلاثة هي:(**قابلية المنهج العلمي للظن والتخمين، وقابلية المنهج للقلة والنقص، وقابليته للضعف والعجز**)، تلك الرؤية القرآنية تبين خلل المنهج العلمي القائم على الحس والمشاهدة، وخطورة الاكتفاء به كمنهج علمي يقوم عليه الإنسان لمعرفة الحقائق، فليس نفيًا له بل نقدًا وتقويمًا، فليس من صالح البشرية التي من أجلها كان وحي القرآن ترك المنهج العلمي بالكلية، بل من الضروري تقويمه إلى الحق، وسوف أفصل تلك الأمور الثلاثة فيما يلي:

الأمر الأول: **قابلية المنهج العلمي للظن والتخمين**:

إن المنهج العلمي مرتبط بالتجربة الحسية والمشاهدة تبدو خطورة الاكتفاء بالمنهج العلمي في قابليته للظن والتخمين والخطأ والخلل، لأن التجربة والمشاهدة تركن للحواس، فعندما دعا القرآن للنظر في الكون إذا به ينبه لخطورة الركون للمشاهدة مما يدل على حكمة عرض الظواهر الكونية، مبينًا حقائقه مع احترام نتائج العلماء بعد البحث في العلوم، ويتضح تنبيه القرآن علماء الكون لخطورة الاعتماد على المشاهدة في المثالين التاليين:

المثال الأول: قول الله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾[النمل: ٨٨]، وقد تأمل الدكتور محمد أحمد الغمراوي[(1)]، في الآية وأفاد (**أن السحاب لا يتحرك بذاته لكنه ينتقل محمولا على الرياح، كذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها وهي تمر مسرعة محمولة على الأرض، فالأرض مسرعة بالجبال كما تسرع الرياح بالسحاب، وطبيعي أن يفوت قدامى المفسرين ذلك المعنى لأنهم لم يكونوا يعرفون أن للأرض حركة**)[(2)]، فإن المعنى الجديد وارد في قوله (**تَحْسَبُهَا**) أي تظنها، لأنه ليس كل ما يشاهد بالبصر يتفق مع الحقيقة العلمية، فمن الأهمية بيان أن نصَّ القرآن الكريم يستوعب كل زمان يناسب جميع مستويات البشر المعرفية، مع الإشارة للحقائق العلمية؛ لأنه آخر وحي السماء لأهل الأرض، فكأن قوله (**تَحْسَبُهَا**) ينبه العلماء الماديين إلى أن هذه المشاهدة حُسبَانٌ وظَنٌّ؛ ليعرف العلماء قدر علمهم.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾[البقرة: ١٨٩]، كان سؤال الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ قال: (**يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنز ل الله هذه الآية**)، قال قتادة: (**ذكر لنا أنهم سألوا نبي الله** –صلى الله عليه وسلم- **لم خلقت هذه الأهلة؟**) **وفي الرواية أن السائل معاذ، قال: (ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد ويعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يكون كما كان؟)**[(3)]، لأن سؤال السائل بهذه الصورة متخصص يجيب عنه علماء الفلك لبيان ماهية الهلال وتطوره من طور لطور، وإذا أجاب القرآن عن السؤال المتخصص فإنه يعرِّض النبي للتكذيب، ولأن البشرية لم تكتشف بعد ماهية الأهلة؛ لذلك كان جواب السائل متجهًا لأمرين: **الأول**: بيان منافع الأهلة المتعلقة بمعرفة مواقيت الأعمال وقطع الآجال، وهذا عام للناس جميعًا، **الثاني**: بيان منفعة الأهلة كمواقيت للعبادة من حج وصوم، وهذا خاص بالمسلمين.

---

(١) محمد أحمد الغمراوي: (١٨٩٣– ١٩٧٣) أنشأ لجنة التأليف والترجمة مع زملائه، برئاسة الشيخ أحمد أمين سنة ١٩١٤، لبعث نهضة علمية متزنة، كما وازن بين تقدم الغرب المادي الخادع المنخلع من الدين فأخذت تهدم مدنيتها، سافر لانجلترا سنة ١٩١٦ لدراسة الكيمياء والطبيعة فرجع ليتحدث عن صلة الحقائق الكونية بالقرآن، فكان من أوائل المهتمين بالإعجاز العلمي في العالم الإسلامي، بعد الشيخ طنطاوي جوهري، انظر موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، (ص٩٠٥– ٩٠٩)، ط القاهرة سنة ٢٠٠٧.

(٢) انظر د. محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، (ص٢٦٥– ٢٦٦)، بتصرف، ط دار الكتب الحديثة، سنة ١٩٧٨.

(٣) النيسابوري، أسباب النزول، تحقيق أيمن صالح شعبان، (ص٥٠)، ط دار الحديث، سنة ١٩٩٥.

ثم بين القرآن ماهية الهلال في مواضع أخرى لإجابة السؤال ورفع الإشكال، فقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾[**يونس: ٥**]، وقال: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾[**يس: ٣٩**]، أي (**قدر الله مسيره –أي القمر- في منازله ليعود كالعُرجون وهو الشِّمْراخُ**[١] **المعْوَج**)[٢]، لبيان الظاهرة الكونية فلم يكن طرح القرآن جزافيًّا، بل كان حكيمًا في العرض عليمًا بالجواب مناسبًا لسؤال السائل، لئلا يتعرَّض الداعية الأول للخطأ أو التكذيب، تلك حكمة الحكيم الخبير.

الأمر الثاني: **قابلية المنهج العلمي للقلة والنقص**:

تبدو خطورة الاكتفاء بالمنهج العلمي في ارتباطه بكسب أسبابه ووقوفه على قدر استعداد الإنسان؛ لذا فهو قابل للقلة والنقص، وقد أخبر الله بقلة علم البشر مهما اتسع أو دق، فقال تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[**الإسراء: ٨٥**]، وتلك إشارة لغفلة علماء الكون عن حقائق أخرى لمّا يصلوا إليها بعْد، كمعرفة الروح وأن بها قوام حياة الكائن الحي، من هنا ندرك أن المنهج العلمي ناقص، فلم يكن مستَغربًا أن يكون العلماء أنفسهم درجات متفاوتة في التحصيل والاستنتاج فقال تعالى: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [**يوسف: ٧٦**]، وأن الله تعالى يرفع من يشاء من مؤمني العلماء، فقال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[**المجادلة: ١١**]، فقرن القرآن بين الإيمان وإتيان العلم لضرورة الاقتران بينهما.

الأمر الثالث: **قابلية المنهج العلمي للضعف** (**التحدي والعجز**)

تبدو خطورة الاكتفاء بالمنهج العلمي في إظهار الضعف والعجز أمام التحدي، لأن القرآن طلب من العلماء مطلبًا، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [**الحج: ٧٣**]، وهذه الآية الكريمة –وكثير غيرها- تحمل أمرين الأول: تحدي القرآن للعلماء، والثاني: إثبات عجز العلماء.

أولا: التحدي: ويبدو بجلاء في أمور منها: **الأول**: النداء العام، (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**)، والناس تطلق على جميع عقلاء البشر بالسوية، ومنهم علماء المنهج العلمي بكافة أجناسهم والملحدون منهم من باب أولى، **الثاني**: قوله (**لَن يَخْلُقُوا**) قال ابن عاشور: (**استعمل أداة النفي (لن) لتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين**)[٣]، والخلق عملية طبيعية تظهر فائق قدرة الله تعالى الباهرة، التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه، فالخلق فعل مختص بكمال الألوهية كما أفاد ذلك العلماء[٤]، ولا يتصف به البشر قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[**النحل: ١٧**]، وقد استعمل القرآن فعل الخلق بصيغة المضارع لاستمرار التحدي والتعجيز، **الثالث**: ضَرْب المثل[٥] بـ (**الذُّبَابِ**) وهو جمع ذُبَابَة وهي حشرة معلومة بالمشاهدة مستحقرة صغيرة، تحداهم بطلب استرجاع ما سلبته الذبابة مع حقارتها ومع قلة وحقارة المسلوب، **الرابع**: قوله (**وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**)، على احتمال اجتماعهم بأنواع من القوى التي أوتوها،

---

(١) الشِّمْرَاخ: غصن دقيق ينبت في أعلى الغصن الغليظ، خرج في سنته، يجمع على شماريخ، والشُّمْرُوخ بمعناه، انظر المعجم الوسيط، مادة (شَمْرَخ)، (ص٤٩٣)، ط مكتبة الشروق الدولية، سنة ٢٠٠٤.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢/ ٢٨٢)، مرجع سابق.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٧/ ٣٤١)، ط الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٤.

(٤) أفاد الإمام الراغب أن تعريف الخلق: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، نحو (خلق السموات والأرض بالحق)[التغابن: ٣] أي أبدعهما، وليس هذا الخلق إلا لله تعالى، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو (خلقكم من نفس واحدة)[النساء: ١]، انظر المفردات في غريب القرآن، مادة (خلق)، (ص١٥٧)، مرجع سابق.

(٥) المَثَل: الشَّبَه لفظا ومعنى، وهو اصطلاحا: إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا، انظر الشيخ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص٢٨٢– ٢٨٣)، ط مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٩٥.

الخامس: قوله (**وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ**)، لتأكيد الحقيقة ورفع احتمال المجاز، والاستنقاذ طلب الإنقاذ.

ثانيا: إثبات عجز لحكم القرآن الكريم فقال: (**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**)، والضعف دال على العجز، ذلك حكم قبل بلوغ العلم قمة أسبابه في القرن الحادي والعشرين بالتقدم التكنولوجي، ويشهد بقوة الحكْم في قيومية من حَكَمَ به –سبحانه وتعالى- ولذلك أمرهم بالاستماع (**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**)، والاستماع سماع بإصغاء، فخاطبهم خطاب الموجه المرشد لهم فسبحان من هذا كلامه.

إذن إن قوة المنهج العلمي في إظهار عجزه أمام حكمة الله المبهرة في خلقه وكونه، فمن الضرورة اعتراف العلماء بالعجز، لتوقف منهجهم على أسباب محدَّدة، وتقييده بظروفه مع إسناد علمهم إلى الله سبحانه موليه ومسديه، لقوله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**﴾[**الحج: ٥٤**]، إذن من الخطورة الاكتفاء بالمنهج العلمي عند طلب المعرفة في أي مجال من مجالات العلم عامة.

ومن أخطر الخطورة طلب الاكتفاء بالمنهج العلمي في طلب معرفة الله تعالى خاصة؛ لأن السؤال عن ماهية (الله) تعالى مستحيل لأنه ليس مقدورًا للعقل البشري الجواب عليه، لأن الله تعالى لا تحيط به فكرة العقل، والألوهية قضية عقدية وليست فكرة عقلية مجردة؛ لذا فقد خاطب القرآن الكريم هؤلاء جميعًا، فقال: ﴿**مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[**الحج: ٧٤**]، و بيّن القرآن حقيقة الله تعالى أنه سبحانه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [**الشورى: ١١**]، وأنه تعالى غير مدرك بالأبصار، فقال: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾[**الأنعام: ١٠٣**]، ولذا فإنه ورد النهى عن ضرب الأمثال والاحتمالات فيما يختص بذاته تعالى، فقال: ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[**النحل: ٧٤**] ، لذلك أغلق المسلمون هذا الباب، لأن الله لا تحيط به الفكرة.

تلك الرؤية القرآنية لعلاج أزمة البشرية في منهجها العلمي حققها القرآن في تلك الأمور الثلاثة بينما غفلت عنها الكتب السماوية السابقة، فكان الأولى بالعلماء أن يعمموا في المناهج ولا يجمدوا على منهج واحد، كما أنهم عمموا في الحكم على الكتب السماوية، وذهلوا عن وحي القرآن؛ ليقفوا على الحق المنشود.

***

المبحث الثالث

منهج العلم البشري في ميزان القرآن

المطلب الأول: استمداد العلم (رؤية قرآنية)

إن الرؤية القرآنية للعلم البشري رؤية قائمة على أن العلم البشري يجب أن يجمع بين الإيمان بالله رب العالمين وطلب العلم بمجالاته ومناهجه مستمد من الله تعالى، لأن الله سبحانه (عَالِمٌ وعَلِيمٌ وعَلَّامٌ)[1]، قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾[**الجن: ٢٦**]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[**لقمان: ٢٣**]، وقال: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ**﴾[**المائدة: ١٠٩**]، وتلك الرؤية سجلت قبل إلحاد العلماء الطبيعيين.

أدلة استمداد علم البشر من الله:

أدلة استمداد علم البشر من الله تعالى، قوله: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ**﴾[**النساء: ١١٣**]، وقوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾[**الكهف: ٦٥**]، لأن الله يوفّق من يشاء للعلم ونتائجه، وقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ**﴾ [**الرحمن: ١- ٤**]، والقرآن نصَّ على أن الرحمن علم القرآن، وخلق الإنسان وعلمه البيان، فمن العلم إعلام وتعليم من الله تعالى، وهذه أدلة شاهدة على استمداد علم البشر من الله تعالى.

معاني استمداد علم البشر:

تتعدد معاني استمداد علم البشر من الله تعالى، وهي تعود في جملتها إلى معنيين: **الأول**: (**قدرة الباحث على معرفة حقائق الكون من خلال الأسباب العلمية المعتادة من (قراءة وبحث وتأمل ونظر وملاحظة وتجربة معمل**)[2]، وهذا اتجاه البعض لكنه ذهل عن حث القرآن البشرية على كل ذلك، **الثاني**: (**توفيق الله تعالى للباحث في الكون للوصول بأسباب العلم إلى سر تسبيح الكون وسجوده لله ليقف على مزيد خشية لله تعالى وإيمان به**) وهذا المعنى متبادر للذهن عند الإطلاق فهو الراجح، دليل ترجيح المعنى الثاني ما ورد في القرآن الكريم من خبر عن تسبيح الكون وسجوده لله رب العالمين.

أما التسبيح فقوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء: ٤٤]، (**وإسناد التسبيح لكثر من الأشياء التي لا تنطق دل على أنه مستعمل للتنزيه بدلالة الحال**)[3]، لأن الأكوان مسبِّحة لله تعالى تنزيهًا وتعظيمًا.

وأما السجود ففي قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ**﴾[**الحج: ١٨**]، والسجود في الآية (**استعمل في حقيقته ومجازه، لأن السجود المثبت لكثير من الناس سجود حقيقي**)[4]، فدل ذلك على أن الإنسان مدعو للسجود على الحقيقة اختيارا، والأكوان مدعوة للسجود على المجاز قهرًا وإجبارًا.

ولا ينافي استمداد علم البشرمن الله تعالى الأخذ بأسبابه وتجاربه ومعامله، لأن القرآن دعا للأخذ بذلك كله؛ من هنا انطلق الباحثون المسلمون من إشارات القرآن الكريم العلمية يكتشفون أسرار تسبيح الحياة والأحياء لله تعالى ويقفوا على حقيقة سجودها له، فلا غرو إذن أن تكون ثمرة علم الأكوان (الخشية من الله)، فقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[**فاطر: ٢٨**]، فكلما ازداد علم العالم ازدادت خشيته من الله تعالى.

---

(١) تعدد صيغ وصف الله بالعلم بين عالم وعليم وعلام لا يدل على نسبية علم الله تعالى، لأن علم الله ليس قابلًا لزيادة أو نقصان، فعلمه مطلق لا حدود له، وإنما الصيغ للمبالغة في العلم، ولتقريب معنى علم الله لأذهان البشر، لتدل المخاطبين على عظيم علم الله تعالى.

(٢) وهذه رؤية بعض الباحثين الماديين، لأن التعلق بأدوات العلم وأسبابه دون إرجاعها إلى الله تعالى.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/ ١١٤)، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق، (١٧/ ٢٢٥).

هذا المعنى ربط استمداد علم البشر بمجالاته ومناهجه بالله تعالى؛ فالكون كونه والكتاب كتابه والخلق خلقه والأمر أمره والتدبير تدبيره، فأجاد الباحثون المسلمون في إفادة البشرية حين ربطوا الكتاب المسطور بالكتاب المنظور، فإذا استقر لدينا أن علم البشر مستمد من الله -سواء بالركون لأسباب دعانا القرآن إليها أو بابتداء إشارات علمية بالقرآن – فلابد من الأخذ بأسباب العلم مع طلب المعونة والتوفيق من الله تعالى.

المطلب الثاني: كمال الرؤية القرآنية

إن الرؤية القرآنية للمنهج العلمي كاملة تبدو في أمور كثيرة من أظهرها (الجمع بين العقل والعاطفة)، لأن تحقيق هداية كثير من العلماء إلى الإسلام لأكبر دليل على كمال علاج القرآن لأزمة البشرية، لجمعه بين (**إقناع العقل وإمتاع العاطفة**)(1) كما سماها الدكتور عبدالله دراز، أو جمعه بين (**القناعة العقلية والطمأنينة القلبية**)؛ لأن هذا الجمع أثر الانسجام بين القرآن والعلم الكوني، فاهتدى الحائر المتأزم إلى الحق بعدما تبين له، واكتفى العاقل من الناس بالبحث بإخلاص عن الحق فوقف على مراده ووصل إلى سكينة في قلبه وقناعة في عقله وطمأنينة لنفسه، فانتفت الحيرة وزال الاضطراب، وهناك علماء وقفوا على تلك العلاقة فأسلموا منهم واهتدوا للإيمان.

المطلب الثالث: الثمرة والنتيجة

إن ثمرة ما قدمته الرؤية القرآنية بلغت بالبشرية الحائرة مبلغ الهداية في أمور أربعة

أولًا: شمول هداية القرآن للمؤمنين السالكين إلى الله تعالى الساعين إليه بالنظر في الكتاب المسطور، وللعلماء الباحثين عن أسرار الكون بالنظر في الكتاب المنظور، فعمَّت هداية الله تعالى البشرية، مع استحالة إحاطة علم البشر بالله تعالى خالق الكون والموجودات، مهما أوتي البشر من سعة في العلم، أو قوة في أسبابه وأدواته أو حصافة في الفهم ودقة في الفكر والثقافة، لأن الله لا تحيط به الفكرة، لذلك فإن القرآن قد دعا الإنسان للنظر في الوجود ليدله على الخالق تعالى مبدع الأكوان، فقال: ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[**الأنعام: ١٠١**].

ثانيًا: اتفاق القرآن مع العلم والعلماء بترسيخ البيئة العلمية، وبذلك تحقق إشباع فضول العقل البشري، وملاءمة فطرة الإنسان بالنظر في الأكوان، ولم يحارب العلم كشأن رجال الدين في جمود رؤيتهم للكتاب المقدس، وبذلك عالج القرآن الأزمة البشرية في علاقتها بالكون.

ثالثًا: تمهيد القرآن -كتاب الرسالة الخاتمة- للتفكر العقلي المتزن بالأمر بالنظر في الكون والتدبر في الكتاب فمهد كل سبيلٍ وأزال كل عقبةٍ متخيلة في طريق الكتب السماوية، واحتوى القرآن العقل لأول مرة في تاريخ البشرية، فجمع بين العقل والنقل وانتفى التعارض بجمع أو تأويل.

رابعًا: حفاظ القرآن على الإيمان المرتبط بنظر الإنسان في الأكوان، وعالج الأزمة البشرية في المنهج العلمي، ببيان فساد الاعتماد عليه وحده وبيان حقيقته ودواخل عواره في الاتكال عليه وحده، ورفع مقولة إثبات القضية الدينية بالعلم، وبذلك تم إغلاق الباب في وجه الإلحاد.

تلك هي الرؤية القرآنية التي خلقت بيئة علمية منهجية بالحث على كشف مساتير الكون، وناسبت فطرة الإنسان وواكبت حقائق العلم، واحتضنت دوافع العلماء الصحيحة، وهذا موقف الإسلام من العلم بقضاياه ومن العلماء، لأن الإسلام الحنيف ربط الإنسان بالكون وأمر بالنظر والتفكر في الآيات المنظورة لأنها من بديع خلق الله تعالى، وبنفس القدر ربط الإسلام المسلم بالقرآن فأمر بالتدبر في الآيات البينات المسطورة فإنها تنزيل من حكيم حميد، فكلاهما من الله عزوجل، بتمام الانسجام والاتفاق من غير تنازع أو نفور.

وبعد.. فإن إرادة الله فوق إرادة البشر، ومن سننه وجود المذعن المقر ووجود الملحد المنكر، لتتجلى إرادة الله تعالى بين هداية وتوفيق أو ضلال وخذلان، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا**﴾[**المائدة: ٤١**]، لأن من لم يهتد بمنهج علمي إلى الحق فصار ماديًّا ملحدًا تائهًا في الحياة تتخطفه

---

(١) انظر د. محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن، (ص١١٣)، ط دار القلم الكويت، سنة ١٩٩٦.

الأمـراض النفسـية والنـوازع الشـيطانية أو صــار حـائرًا يضـلّ فـي دروب الحيـاة لا يـدري النقيـر مـن القطمير.

والله تعالى من وراء القصد هو الهادي إلى صراطه المستقيم.

***

خاتمة الدراسة

وتتكون من نقطتين:

الأولى: نتائج الدراسة:

الثانية: التوصيات ورؤية الباحث المستقبلية:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله رب العالمين وصلاة وسلامًا على أشرف الخلق وإمام المرسلين، وبعد.. فقد انتهت الدراسة إلى نتائج وتوصيات حاملة لرؤية مستقبلية أعرضها، عسى الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين إن ربي على ما يشاء قدير..

أولا: النتائج:

- الرسالات السماوية تحمل مراد الله من البشر، فإذا حُرِّفت كتبُ الرسالات السماوية فقد حرِّف بالتبع مراد الله تعالى، مما يفرز أزمة حضارية بخلق بيئة دينية محرَّفة تصطدم بالعلم والعلماء، حتى تظهر آثار سلبية تعانيها البشرية، فإما تعيش بـ(علم بلا دين) أو تعيش بـ(دين بلا علم)، وكلاهما غير صحيح؛ لأنه لا مناص للبشر بدونهما، كما أنه لا يصح جمع متكلِّف لإرضاء كتاب مُحرَّف.
- إن سلامة وحي القرآن من التحريف هيأه للاتفاق مع الحقائق العلمية، وهذا أكبر دليل على أن القرآن تنزيل من لدن حكيم خبير، وهذا من أجلى مظاهر ثقافة القرآن المهيمنة على ما قبلها من كتب وعلى كل فكر منحرف..
- إن تعميم بعض العلماء والمفكرين الحكم على الكتب السماوية بالفصل عن العلم، وطلب إثبات قضايا الدين بالمنهج التجريبي يدل على تناقضهم مع المنهج العلمي نفسه – ثم يدَّعون الانتساب إليه- لأنهم لم يستقرؤوا الكتب السماوية كلها فلم ينظروا في القرآن وهو آخر وحي الله تعالى لأهل الأرض، ولو درسوه بإنصاف لتغير حكمهم.

ثانيا: التوصيات ورؤية الباحث المستقبلية:

- إن هذه الدراسة أماطت اللثام عن دور علماء الكون المسلمين الذي بات مُهِمًّا وخطيرًا، حيث يجب عليهم اليوم القيام بإحياء المنهج العلمي المستمد من القرآن الكريم، لاستخراج مكنونات الكون التي أشار إليها القرآن الكريم لإثبات رؤيته العلمية الحضارية لمواجهة المنهج العلمي الشارد عن منهج الله تعالى.
- إن هذه الدراسة تضع أيدينا على الثقافة العلمية الجادة الدالة على انسجام العلم بالقرآن الكريم -كتاب الله تعالى صحيح النسبة إليه تعالى- دون تكلُّف في إقحام القرآن في دهاليز العلم وقضاياه الظنية؛ لأن نشر تلك الثقافة ينشئ بيئة علمية مستقيمة مساهمة في تنشئة وعي الشباب - في المستقبل- المطمئن لكتابه المقبل على كون ليكتشف سجود الكون وتسبيحه، حينئذ لا يُخْشَ على الشباب من دعواتٍ هدامةٍ أو أفكارٍ منحرفةٍ لجمعه بين الكتاب المسطور والكون المنظور فيرضِي الفطرة والعقل على السواء؛ لذا فإن نشر تلك الثقافة الجادة يُعَدُّ (فريضة دعوية) و(ضرورة اجتماعية) على مؤسسات الدعوة والثقافة معًا.
- إن قيام الأزهر الشريف ومؤسسات الدعوة في العالم الإسلامي بدورها الريادي في نشر دعوة الإسلام بمنهج وسطي، يتحقق بالقيام بنشر التراث الجاد الذي يعَدُّ إفرازًا لرؤية القرآن للكون والحياة والأحياء، فيجب الالتفات للمؤلفات والمصنفات العلمية لعلماء الإسلام المعتنية بالاستدلال على قضايا الإيمان بالأكوان فتنشرها أو تعيد نشرها، لدفع ما يردِّدُه الزاعمون لضرورة إثبات القضية الدينية بالمنهج العلمي، مع الاهتمام أكثر بدراسة مادة (الإشارات العلمية – والسنن الكونية في القرآن) بأقسام الدعوة والثقافة الإسلامية، لتعميق تلك الثقافة في ناشئة الدعاة.
- اهتمام مؤسسات الثقافة والتربية والإعلام.. المعنية ببناء الوعي الحضاري في الأمة والمجتمع بنشر الثقافة العلمية التي تبدأ من إشارات القرآن العلمية فتدرس الأكوان لتوثِّق صلة الإنسان بالرحمن، لمسيس حاجة البشرية الحائرة والمضطربة بين العلم والإيمان ومخاطبتها بهذا المنطق الإيماني من خلال الواقع العملي.

- أخيرًا إن من واجب الدعاة والمربين والمثقفين والإعلاميين.. وكل من يسهم في ترقية وعي الناشئة من الشباب - عليهم جميعًا - القيام بنشر تصور القرآن عن الكون والحياة، فهي رؤية علمية تلامس شغاف قلوب حيارى البشرية، وتعالج أزمة البشر وتحقق الهداية لهم في الدنيا والنجاة لهم في الآخرة.

وبعد.. فهذا جهد المقل حاولت من خلاله الإسهام في هذا الموضوع، فإن كنت قد أصبت الحق - وهذا ما قصدتُّ - فمن اللهِ وحده تعالى ومن بركات رسوله – صلى الله عليه وسلم- وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، والله تعالى أسأل أن يأجرني على جهدي بكرمه وعفوه، وأن يعفو عن الزلات ويقيل العثرات إنه ولي ذلك والقادر عليه.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد نبي الرحمة والمرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

قائمة المراجع (•)

- القرآن الكريم: كتاب الله تعالى الخالد.
- الكتاب المقدس: العهد القديم والجديد. ط دار الكتاب المقدس – في الشرق الأوسط، سنة ١٩٨٧.

أولا: كتب التفسير:

الإمام الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط دار الريان للتراث، سنة ١٩٨٧.
الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط دار الحديث، سنة ٢٠٠٢.
الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط مكتبة الصفا، سنة ٢٠٠٤.
الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، ط دار الفكر بدون تاريخ.
البيضاوي، أسرار التنزيل وأسرار التأويل، ط دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٨.
الإمام النسفي، العقائد النسفية، ط مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٨٠.
أبو إسحاق الشيرازي، الإشارة إلى مذهب أهل الحق، تحقيق د. محمد الجليند، ط المجلس الأعلى، سنة ١٩٩٩.
الشيخ محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط الحلبي، سنة ١٩٨٠.
د. القصبي زلط، التبيان في علوم القرآن، ط دار الأنصار، سنة ١٩٧٩.
الشيخ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٩٥.

ثانيا: كتب الأديان:

الإمام الشهرستاني، الملل والنحل، ط دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٢.
الإمام ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط المكتبة التوفيقية، سنة ٢٠٠٣.
د. محمد طلعت أبوصير، أضواء على مقارنة الأديان، ط دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨٨.
د. محمد عبدالله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ط الأزهرالشريف، سنة ٢٠٠٧.
د. محمود محمد مزروعة، الدين، انظر له، دراسات في الدين، ط دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨٩.
د. نعمان عبدالرزاق السامرائي، الماسونية واليهود والتوراة، ط دار الحكمة، بدون تاريخ.
د. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ط دار الشروق، سنة ٢٠٠٥.
الخوري بولس، سفر التكوين- تاريخ الكون والإنسان، ط منشورات المكتبة البولسية بيروت لبنان، ط سنة ١٩٨٨.
د. علي عبدالواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط نهضة مصر، ٢٠٠٤.
د. إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ط مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٨.
د. أحمد الحوفي، حجية التوراة، ط مؤسسة الخليج العربي، سنة ١٩٨٩.
كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط دار الحصار للنشر، دمشق سوريا، سنة ١٩٩٩.
د. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ط الفتح للإعلام العربي، بدون تاريخ.
د. إبراهيم عوض، موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم، ط مكتبة الشباب، سنة ١٩٨٧.
د. إبراهيم عوض، دراسات دينية مترجمة من الإنجليزية حول القرآن الكريم والكتاب المقدس وبعض الأديان القديمة، ط مكتبة الزهراء سنة ٢٠٠٠.
د. عادل محمد درويش، النصرانية بين الحقيقة والتحريف، ط القاهرة، سنة ٢٠٠٥.
د. صموئيل رزفي، تجديد الفكر الديني، ط دار الثقافة سنة ٢٠٠٣.
القس صموئيل مشرقي، المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد، ط الكنيسة المركزية، سنة ١٩٧٩.
نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، ط دار الصقافة سنة ١٩٨٢.
ماهر يونان عبدالله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، مراجعة القس جرجس صبحي، ط سنة ٢٠٠١.
مكرم مشرقي، قاموس أعلام الكتاب المقدس، ط مكتبة الإخوة، سنة ٢٠٠٠.
د. صموئيل حبيب، المسيحية والإنسان، ط دار الثقافة، سنة ٢٠٠٧.
محمد فؤادالهاشمي، حواربين مسيحي ومسلم، ط دار الرسالة للطباعة، سنة ١٩٨٤.
د. إبرهيم عوض، نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة، ط مكتبة السوداني للتوزيع، سنة ١٩٩٥.
الشيخ محمد الخضر حسين، القديانية والبهائية، ط مكتبة الإيمان، سنة ٢٠٠٦.
د. عبدالمنعم خفاجي، الرد على البهائيين في ضوء المنهج اللغوي، ط مكتبة مصر، سنة ١٩٨٦.

ثالثا: المترجمات:

س ليفي، كنوز التلمود، ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسي، ط دار التراث، القاهرة، سنة ١٩٩١.
باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفي، ط مكتبة النافذة، سنة ٢٠٠٥.
زينون كاسيدو فسكي، الواقع والأسطورة في التوراة، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، ط دار الأبجدية للنشر، دمشق، سنة ١٩٩٠.
لاون تولستوي، إنجيل تولستوي وديانته – خلاصة الأناجيل، ترجمة سليم قبعين، ط دار البشير، سنة ٢٠٠٧.
مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة د. عبدالرحمن الشيخ، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠٠١.
د. مراد هوفمان، خواء الذات والأدمغة المستعمرة، ترجمة عادل المعلم، ط مكتبة الشروق الدولية، سنة ٢٠١١.

(•) قصدت في هذه القائمة إدراج أهم المراجع الواردة بالدراسة مكتفيا بالترتيب الموضوعي.

كارين أرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي، ترجمة د. فاطمة نصر، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠١٠.
غستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، ط عيسى الحلبي، بدون تاريخ.
غستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠٠.
ول ديورانت، قصة الحضارة – عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠١.
ستانوود كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة د. محمدفتحي عثمان، ط الدار السعودية، سنة ١٩٨٢.
رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود الخضيري، ط دار الكاتب العربي، ١٩٦٨م.
جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة منى أبوسنة، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠٠٥.
برتراندراسل، حكمة الغرب- الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة د. فؤاد زكريا، عدد٣٦٥، عالم المعرفة، سنة ٢٠٠٩.
برتراند راسل، أثر العلم في المجتمع، ترجمة د. تمام حسان، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٠.
وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ترجمة ظفر الإسلام خان، كتاب المختار الإسلامي، سنة ١٩٧٦.

رابعا: كتب الفكر الإسلامي وأخرى:

الإمام محمد عبده، رسالة التوحيد، ط مكتبة صبيح ١٩٦٥.
الإمام محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠٩.
محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ط القاهرة، سنة ٢٠١٠.
د. طه الدسوقي حبيش، النبوة والتنبؤ، ط مطبعة الفجر الجديد، سنة ١٩٩٠.
د. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط دار النهضة العربية، سنة ١٩٨٤.
د. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط مكتبة وهبة، سنة ٢٠٠٥.
د. رشدي فكار، نهاية عمالقة الغرب، ط مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٩.
د. عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، الإسلام والبشرية الحائرة، ط دار السلام، سنة ٢٠٠٦.
د. جورج شحاتة قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٤.
د. مصطفى لبيب عبدالغني، تاريخ العلوم عند العرب، ط هيئة الكتاب سنة ٢٠٠٨.
د. محمود حمدي زقزوق، المنطق الفلسفي بين الغزالي وديكارت، ط مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨١.
د. محمود حمدي زقزوق، تمهيد للفلسفة، ط دار المعارف، سنة ١٩٩٢.
شوقي جلال، العقل الأمريكي يفكر- من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠١٠.
د. يحيى هاشم حسن، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، ط دار المعارف، سنة ١٩٨٤.
د. محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ط دار الكتب الحديثة، سنة ١٩٧٨.
د. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن، ط دار ابن الجوزي، سنة ٢٠٠٥.
د. أحمد عبدالرحمن إبراهيم، نقد الثقافة الإلحادية، ط مكتبة هجر بالقاهرة، سنة ١٩٨٥.
حوار الإيمان والإلحاد، نخبة من المفكرين والعلماء، ط الأزهر الشريف، سنة ١٤٣٥هـ
محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الرابع ونهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط مكتبة الخانجي بدون.
محمد على قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، ط القاهرة، سنة ١٩٨٥.
د. محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٩٨٧.
د. عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة ١٩٩٣.
د. عبدالرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوربي- (نيتشه)، ط وكالة المطبوعات، سنة ١٩٧٥.
ومن كتب الأعلام والموسوعات والمعاجم والندوات:
ابن النديم، الفهرست، ط هيئة قصور الثقافة، سنة ٢٠٠٦.
خير الدين الزركلي، الأعلام، ط دار العلم للملايين، سنة ٢٠٠٢.
د. سامي خشبة، مفكرون من عصرنا، ط هيئة الكتاب، سنة ٢٠٠٨.

خامسا: من الموسوعات والمعاجم:

أنور الجندي، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، (الجزء السابع)، ط دار الأنصار، بدون.
موسوعة الحضارة الإسلامية، مصطلح المنهجية العلمية، ط القاهرة، سنة ٢٠٠٥.
موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، ط وزارة الأوقاف- مصر، سنة ٢٠٠٧.
الموسوعة العربية العالمية، النسخة الالكترونية، إصدار المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤.
د. عامر عبدالله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، ط مكتبة العبيكان، سنة ١٩٩٧.
المعجم الفلسفي، وضع مجمع اللغة العربية، ط سنة ١٩٨٣.
قاموس الكتاب المقدس، وضع نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، تحرير: د. بطرس عبدالملك، د. جون ألكسندر طمسن، أ. إبراهيم مطر، ط شركة كومبو برايل، بدون تاريخ.
أعمال ندوة بعنوان (الدين والتدافع الحضاري)، ط مجلة رسالة الجهاد، إصدار أكتوبر، سنة ١٩٨٩.

سادسًا: الرسائل العلمية:

رسالة التخصص الماجستير المقدمة من الباحث (سامي عبدالمطلب الباز)، بعنوان: (الأسطورة في سفر التكوين وأثرها على عقائد اليهود وأخلاقهم وربطها بواقعهم المعاصر)، مقدمة في قسم الأديان بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، وقد أجيزت سنة ٢٠٠٥.

الفهرس

والله ولي التوفيق